أيها الولد

للإمام الغزالي

رضي الله عنه

دار المنهاج

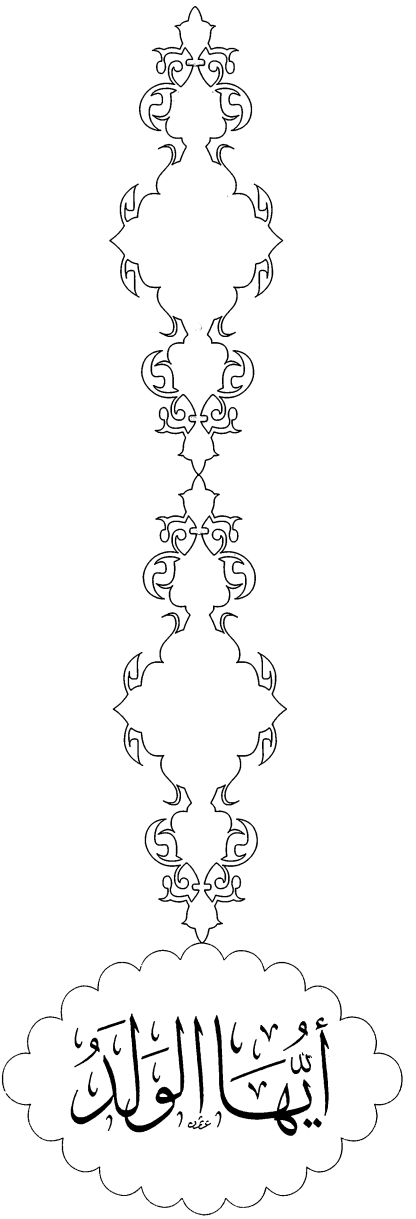
أيها الولد

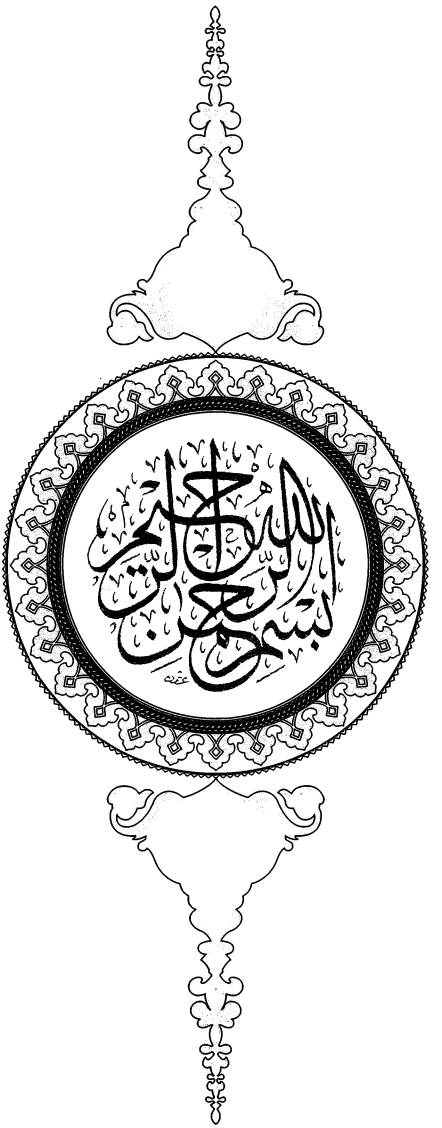
بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الولد

تأليف

الإمام المجدد، حجة الإسلام والمسلمين

زين الدين، أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي

الطوسي الطابراني الشافعي

رضي الله عنه

(٤٥٠-٥٠٥هـ)

تشرف بخدمته والعناية به

اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

دار المنهاج

الإصدار الثاني ـ الطبعة الثالثة
١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م
جميع الحقوق محفوظة للناشر

اسم الكتاب : أيها الولد

المؤلف : الإمام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)

موضوع الكتاب : أخلاق وسلوك

قياس الكتاب : (٢٢ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٢١٢)

عدد المجلدات : (١)

عدد الصفحات : (٩٦ صفحة)

نوع الورق : شاموا فاخر

نوع التجليد : مجلَّد كرتوناج

عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هٰذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأيّ شكلٍ من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزءٍ منه ، وكذٰلك لا يسمح بترجمته إلىٰ أي لغة أخرىٰ دون الحصول علىٰ إذن خطي سابقٍ من الناشر .

الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 25 - 6

دار المنهاج

لبنان ـ بيروت

هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي

هاتف رئيسي 6326666 12 00966

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو اتحاد الناشرين العرب

عضو جمعية الناشرين السعوديين

عضو نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزّعون المعتمدون داخل المملكة العربيّة السّعوديّة

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6510421 ـ 6570628

جدة

مكتبة الشنقيطي

هاتف 0126893638 ـ 0504395716

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5570506 ـ 5273037

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 ـ فاكس 8383226

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 ـ فاكس 4656363

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 ـ فاكس 2011913

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 ـ فاكس 4937130

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8344946 ـ فاكس 8432794

الطائف

مكتبة أم هاني

هاتف 7320809

صبيا

روائع ودرر

هاتف 0534361354 ـ جوال 0502444752

لدينا خدمة توصيل داخل المملكة وخارجها

كتابك إلىٰ بابك

dar_alminhaj

@dar_alminhaj

@daralminhaj

+966 12 6326666

ps@alminhaj.com

الموزّعون المعتمدون خارج المملكة العربيّة السّعوديّة

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة - حضرموت

هاتف 417130 - فاكس 418130

جمهورية مصر العربية

دار السلام - القاهرة

هاتف 22741578 - فاكس 22741750

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس - عمّان

هاتف 4653390 - فاكس 4653380

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع - أبو ظبي

هاتف 5593007 - فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري - دبي

هاتف 2977766 - فاكس 2975556

الجمهورية العربية السورية

دار السنابل - دمشق

هاتف 0988156620 - فاكس 2237960

دولة الكويت

مكتبة دار البيان - حَوَلّي

تلفاكس 22616490 - جوال 99521001

دار الضياء للنشر والتوزيع - حَوَلّي

هاتف 22658180 - فاكس 22658180

المملكة المغربية

دار الأمان - الرباط

هاتف 0537723276 - فاكس 0537200055

الدار العالمية - الدار البيضاء

هاتف 052282882 - فاكس 052283354

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق - المنامة

هاتف 17272204 - فاكس 17256936

مكتبة الريان - المنامة

هاتف 0097339247759

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم - بيروت

هاتف 785107 - فاكس 786230

مكتبة التمام - بيروت

هاتف 01707039 - جوال 03662783

جمهورية العراق

مكتبة دار الميثاق - الموصل

هاتف 7704116177 - فاكس 7481732016

دولة قطر

مكتبة الثقافة - الدوحة

هاتف 44421132 - فاكس 44421131

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر - مقديشو

هاتف 002525911310

جمهورية الجزائر

دار المشرق والمغرب - الجزائر

هاتف 0780380501 - 0559380141

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية - سوروبايا

هاتف 0062313522971

جوال 00623160222020

جمهورية داغستان

مكتبة دار الرسالة - محج قلعة

هاتف 0079285708188

مكتبة نور الإسلام - محج قلعة

هاتف 0079882124001

هاتف 0079887730306

باكستان

مكتبة المدينة العربية - كراتشي

جوال 00923102864568

مكتبة المدينة العربية - لاهور

جوال 00923218188780

جمهورية جنوب أفريقيا

دار الإمام البخاري - بينوني

هاتف 0027114210824

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا - باريس

هاتف 0148052928. فاكس 0148052997

الولايات المتحدة الأمريكية

مكتبة الإمام الشافعي - جورجيا

هاتف 0017036723653

جمهورية تشاد

مكتبة الشيخ التيجاني - أنجامينا

هاتف 0023599978036

ماليزيا

مكتبة توء كنالي - كوالا لمبور

هاتف 00601115726830

بنغلادش

مكتبة الحسن - دكا

هاتف 008801675399119

الهند

مكتبة الشباب العلمية - لكنهو

هاتف 00919198621671

مكتبة المدينة العربية - مومباي

جوال 00917400262692

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد - إستانبول

هاتف 02126381633. فاكس 02126381700

إنكلترا

دار مكة العالمية - برمنجهام

هاتف 01217739309. جوال 07533177345

فاكس 01217723600

أستراليا

المكتبة الإسلامية

هاتف 0061297584040

Virgin MEGASTORE

فيرجن وفروعها في العالم العربي

جميع إصداراتنا متوافرة على

موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com

فرات Furat.com

موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

www.furat.com

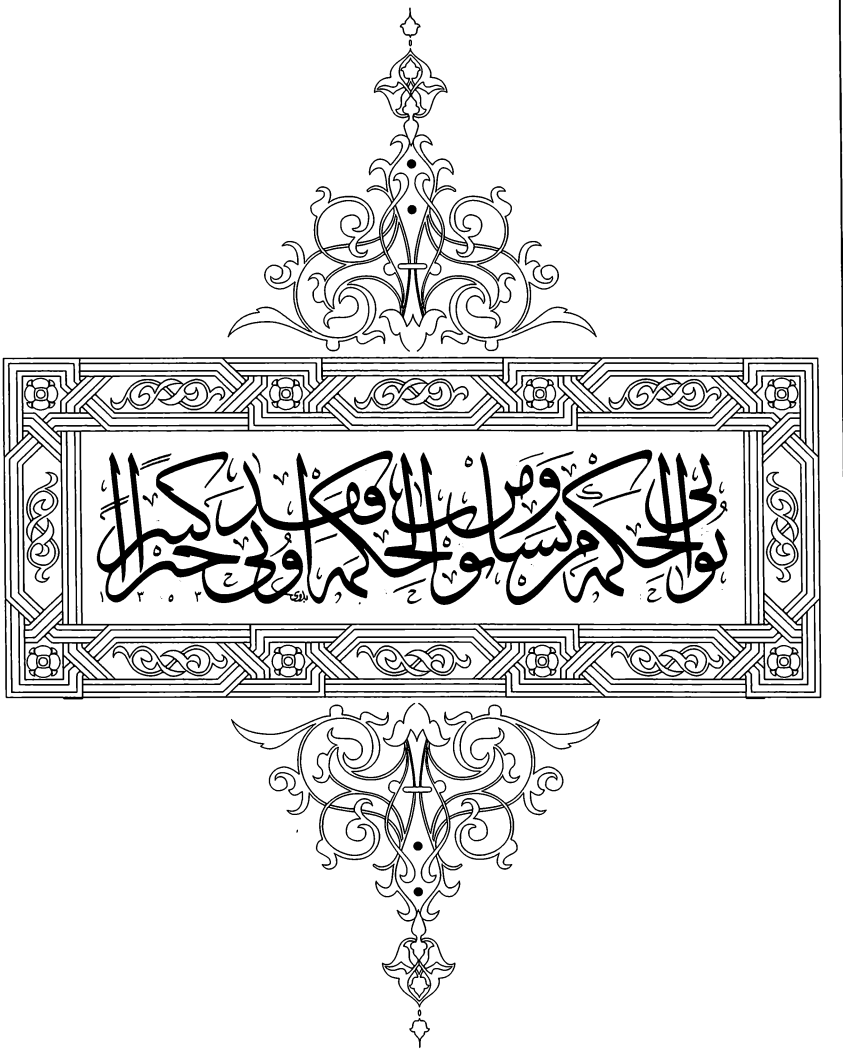
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا
١٢٥٢

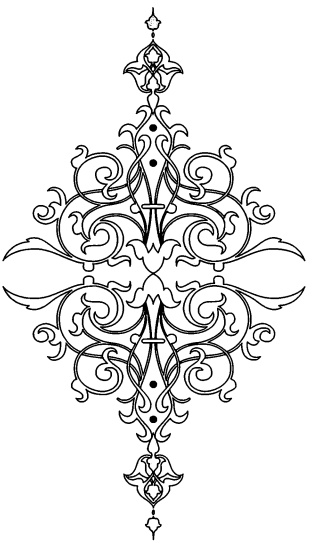

بين يدي الكتاب

الحمدُ للهِ القائلِ في كتابِهِ المبينِ : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّهِ الأمينِ ، الرحمةِ المهداةِ للعالَمِينَ ، القائلِ : « مَنْ يُرِدِ ٱللهُ بِهِ خَيْراً . . يُفَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ » ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ .

ورحمَ اللهُ الإمامَ أبا حنيفةَ حيثُ قالَ : (الفقهُ : معرفةُ النفسِ ما لها ، وما عليها) .

وبعدُ :

فلا تزالُ طائفةٌ مِنْ هٰذهِ الأمَّةِ تقومُ علىٰ حفظِ أصولِ الدِّينِ ، والذَّبِّ عن حوزتِهِ باللِّسانِ والسِّنانِ ؛ حتَّىٰ وصلَ إلينا نقيّاً صافياً سائغاً للشاربينَ .

وهٰذا الكتابُ يُنْبِئُنا عن حِرْصِ بعضِ النُّبَهاءِ مِنْ طلبةِ الإمامِ الغزاليِّ علىٰ سؤالِهِ بصدقٍ أن يُرشِدَهُ إلىٰ سبيلِ الفلاحِ .

فلمَّا لَمَسَ هٰذا الإمامُ المُوفَّقُ البصيرُ بأدواءِ القلوبِ ونَزَعاتِ النفوسِ حرصَهُ وصدقَهُ . . أجابَهُ عن بعضِ ما سألَ ممَّا ينضوي تحتَ قواعدِ الشرعِ ، ويمكنُ التعبيرُ عنهُ بالقولِ أوِ الكتابةِ ، واعتذرَ عنِ الجوابِ عنِ الذَّوقيَّاتِ ؛ إذ هيَ لا تُقالُ ولا

تُكتَبُ ، بل شأنُها التجربةُ وملابسةُ الأحوالِ ، والصدقُ وتحريرُ النيَّاتِ .

فإذاً ؛ جاءَ هٰذا الكتابُ الصغيرُ الحجمِ الجليلُ المضمونِ جواباً شافياً بإذنِ اللهِ لِمَنْ طلبَ الإبانةَ والكشفَ عنِ المنهجِ السويِّ في السلوكِ إلىٰ مَلِكِ الملوكِ .

بَيَّنَ فيهِ الإمامُ حُجَّةُ الإسلامِ أنَّ الواعظَ الأوَّلَ هوَ المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وحشدَ الأدلَّةَ وضربَ الأمثالَ لبيانِ وجوبِ العملِ بالعِلْمِ الشرعيِّ ؛ فإنَّ العِلْمَ مِنْ دونِ عملٍ . . كالجسدِ بلا رُوحٍ .

تَرْجُو ٱلنَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا

إِنَّ ٱلسَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى ٱلْيَبَسِ

ونَبَّهَ علىٰ ضرورةِ تصحيحِ النيَّةِ في طلبِ العلمِ ، والاشتغالِ بتطهيرِ القلبِ ، وحثَّ علىٰ قيامِ الليلِ ، والاستكثارِ مِنَ الاستغفارِ ، وتحرّي الكسبِ الحلالِ .

ومِنْ أسلوبِ الحكيمِ أن يزيدَ السائلَ ما يرىٰ أنَّهُ يحتاجُ إليهِ احتياجَهُ إلىٰ ما سألَ عنهُ ؛ ولذا فقد زادَ الإمامُ في جوابِهِ شرحاً لحقيقةِ التربيةِ ، وبَيَّنَ صفاتِ المُربّي الذي يَصلُحُ لها .

وختمَ بالدُّعاءِ والتضرُّعِ إلى اللهِ العليِّ العظيمِ ؛ إجابةً لطلبِ السائلِ ، وإرادةً لختمِ كتابِهِ بمُخِّ العبادةِ .

واقتداءً بهِ أَختِمُ هٰذهِ التوطئةَ بينَ يديْ « أيُّها الولدُ » بالتضرُّعِ إلى اللهِ الجليلِ :

أن يُكرِمَنا بالاقتداءِ بسُنَّةِ سيِّدِ المُرسلينَ المصطفى الكريمِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأن يُرِيَنا الحقَّ حقّاً ويرزقَنا اتِّباعَهُ ، ويُرِيَنا الباطلَ باطلاً ويرزقَنا اجتنابَهُ ، وأن يجعلَنا مِنَ المُفلِحينَ المُقبِلينَ على اللهِ ، ومِنَ المقبولينَ ، آمينَ ، اللهمَّ آمينَ .

وصلّى اللهُ على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

الناشر

ترجمة

الإمام المجدد، حجة الإسلام

محمد بن محمد بن محمد الغزالي

رضي الله عنه[1]

(٤٥٠ـ٥٠٥هـ)

هوَ الإمامُ حُجَّةُ الإسلامِ زينُ الدِّينِ ، أبو حامدٍ ، محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ الطُّوسيُّ الطَّابَرَانيُّ ، الشافعيُّ ، الغزاليُّ .

وُلِدَ بطُوسَ سنةَ (٤٥٠ هـ) ، وتُوفِّيَ أبوهُ وهوَ صغيرٌ ، وكانَ قد أوصىٰ بهِ وبأخيهِ أحمدَ إلىٰ صديقٍ لهُ ، فرعاهُما حتىٰ أدخلهُما المدرسةَ يتعلَّمانِ إلىٰ أن كبرا فيها .

ثمَّ بدأت مرحلةُ التحصيلِ العلميِّ علىٰ أكابرِ شيوخِ العصرِ فقرأَ الإمامُ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ على الشيخِ الإمامِ أحمدَ بنِ محمدٍ الرَّاذَكانيِّ بطُوسَ .

وسافرَ إلىٰ جُرجانَ ، فقرأَ على الشيخِ الإمامِ أبي القاسمِ الإسماعيليِّ ، وعَلَّقَ عنهُ « التعليقةَ » .

---

(١) أهم مصادر الترجمة : « تاريخ دمشق » (٢٠٠/٥٥) ، « سير أعلام النبلاء » (٣٢٢/١٩) ، « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٩١/٦) ، « إتحاف السادة المتقين » (٦/١) .

ثـمَّ قـدمَ نيسابورَ ، ولازمَ الإمـامَ أبا المعالي الجُوَيْنيَّ إمامَ الحرمينِ وتخرَّجَ بهِ ، وعرضَ عليهِ باكورةَ مُؤلَّفاتِهِ « المنخولَ » في أصولِ الفقهِ .

ولمَّا تُوفِّيَ الإمامُ الجُوَيْنيُّ . . خرجَ إلى المعسكرِ ، وسمعَ بهِ الوزيرُ نظامُ المُلْكِ ، فقدَّمَهُ في مجلسِهِ ، وحَظِيَ عندَهُ بالقَبُولِ ، وبرعَ في المناظرةِ حتىٰ ظهرَ اسمُهُ في الآفاقِ ، فأُرسِلَ إلىٰ بغدادَ للتدريسِ في المدرسةِ النِّظَاميةِ سنةَ (٤٨٤ هـ) .

وفي أثناءِ تدريسِهِ ببغدادَ تفرَّغَ للتأليفِ ؛ فكَثُرَتْ مُؤلَّفاتُهُ ، وعَلَتْ شهرتُهُ ؛ حتىٰ أضحىٰ يُشارُ إليهِ بالبَنانِ .

ثـمَّ جاءَتْهُ السعادةُ الحقيقيةُ ؛ فسلكَ طريقَ الزهدِ والتألُّهِ ، وخرجَ مِنْ جميعِ ما كانَ فيهِ ، وتركَهُ وراءَ ظهرِهِ ، وقصدَ بيتَ اللهِ الحرامَ ؛ فخرجَ إلى الحجِّ سنةَ (٤٨٨ هـ) .

ثـمَّ دخلَ دمشقَ سنةَ (٤٨٩ هـ) ، فأقامَ بها نحوَ عشرِ سنينَ ، أخذَ نفسَهُ فيها بالرياضةِ ، والمجاهدةِ والخلوةِ ، وأَلَّفَ فيها كتابَهُ العظيمَ « إحياءَ علومِ الدِّينِ » .

ثـمَّ عادَ إلىٰ طُوسَ ، فاستدعاهُ فخرُ المُلْكِ إلىٰ نيسابورَ ، فدَرَّسَ بها في المدرسةِ النِّظَاميةِ .

ثـمَّ تـركَ المـدرسةَ ، وعـادَ إلىٰ بيتِهِ مُـوزِّعـاً أوقـاتَـهُ بيـنَ تـلاوةِ

القرآنِ ، والتدريسِ والإفادةِ ، والنُّصحِ والإرشادِ ، إلىٰ أن وافَتْهُ المنيةُ بطُوسَ سنةَ (٥٠٥ هـ) .

تركَ الإمامُ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ مُؤلَّفاتٍ مشهورةً لم يُسبَقْ إليها ، مَنْ تأمَّلَها . . علمَ فضلَهُ وقَدْرَهُ في فنونِ العِلْمِ ، وقد قيلَ : (أُحصِيَتْ كتبُ الغزاليِّ التي صنفَها ، ووُزِّعَتْ علىٰ عمرِهِ ؛ فخصَّتْ كلَّ يومٍ أربعُ كراريسَ ، وذٰلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ)[1] .

ومِنْ هٰذهِ المُؤلَّفاتِ النافعةِ : « إحياءُ علومِ الدِّينِ » ، و« الاقتصادُ في الاعتقادِ » ، و« مقاصدُ الفلاسفةِ » ، و« بدايةُ الهدايةِ » ، و« تهافتُ الفلاسفةِ » ، و« المُنقِذُ مِنَ الضَّلالِ » ، و« مِحَكُّ النظرِ » ، و« معيارُ العِلْمِ » ، و« القسطاسُ المستقيمُ » ، و« المنخولُ » ، و« المستصفىٰ » ، و« البسيطُ » ، و« الوسيطُ » ، و« الوجيزُ » ، و« الخلاصةُ » ، و« إلجامُ العوامِّ » و« أيُّها الولدُ » ، وهو كتابُنا هٰذا ، وغيرها الكثيرُ[2] .

---

(١) الكراريس ـ جمع كُرَّاسة ـ : وهي عبارة عن مجموع من الأوراق المزدوجة المتداخلة فيما بينها بحدود عشر ورقات ، فكان ما يكتبه رضي الله عنه يقارب أربعين ورقة يومياً ، وهٰذا راجع للبركة في الوقت ، وذٰلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(٢) وقد أكرم الله سبحانه وتعالىٰ دار المنهاج بخدمة بعض كتب هٰذا الإمام الجليل ؛ وأهمها : « إحياء علوم الدين » ، و« الاقتصاد في الاعتقاد » ، و« بداية الهداية » ، و« المنقذ من الضلال » ، و« الخلاصة » ، و« معيار العلم » ، و« محكُّ النظر » ، و« القسطاس المستقيم » ، ونسأل الله أن يتمم نعمته علينا بخدمة جميع كتب هٰذا الإمام العبقري رضي الله عنه .

ومِنْ ثناءاتِ أهلِ العِلْمِ في حقِّهِ :

قالَ فيهِ شيخُهُ الإمامُ الجُوَيْنيُّ : (الغزاليُّ بحرٌ مُغْرِقٌ) .

وقالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (كانَ إماماً في عِلْمِ الفقهِ مذهباً وخلافاً ، وفي أصولِ الدِّياناتِ) .

وقالَ الحافظُ ابنُ النجارِ : (إمامُ الفقهاءِ على الإطلاقِ ، وربَّانيُّ الأمةِ باتفاقٍ ، ومُجتهِدُ زمانِهِ) .

وقالَ الحافظُ الذهبيُّ : (الشيخُ الإمامُ البحرُ ، حُجَّةُ الإسلامِ ، أُعْجُوبةُ الزمانِ) .

وقالَ الإمامُ ابنُ السبكيِّ : (حُجَّةُ الإسلامِ ، ومَحَجَّةُ الدِّينِ التي يُتوصَّلُ بها إلىٰ دارِ السلامِ ، جامعُ شتاتِ العلومِ ، والمُبَرِّزُ في المنقولِ منها والمفهومِ) .

رضي الله عنه وأرضاه ، وأكرم نزله ومثواه ، ونفع بعلومه

إنّه خير مسؤول

آمين

وصف النسخ الخطيّة

النسخة الأولىٰ : من محفوظات **المكتبة السليمانية** بإستنبول ، **تحمل الرقم** (١٨٦٤) ضمن مجموع ، **مكونة من** (٩) ورقات ؛ **تبدأ** من الورقة (٤٠) ، **وتنتهي** في الورقة (٤٨) .

خطها فارسي جيد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (٢٥) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٨) كلمات تقريباً .

وناسخها : طور علي بن عبد الرحمٰن الآيديني ، المتوفىٰ سنة (٨٧٣ هـ) .

وقد رمزنا لها بـ (أ) .

النسخة الثانية : من محفوظات **مكتبة جامعة الملك سعود** بالرياض ، **تحمل الرقم** (٦٤٣٤) ، وهي مؤلفة من (١٥) ورقة .

خطها فارسي مستعجل ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (١٣) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٨) كلمات تقريباً .

وتاريخ نسخها : سنة (١٠٠٤ هـ) .

وقد رمزنا لها بـ (ب) .

النسخة الثالثة : من محفوظات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، **تحمل الرقم** (١٥٤٧) ، وهي نسخة مضبوطة مؤلفة من (٢٣) ورقة .

خطها نسخي جيد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (١٣) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٨) كلمات تقريباً .

وتاريخ نسخها : سنة (١١٢٣ هـ) .

وقد رمزنا لها بـ (ج) .

النسخة الرابعة : من محفوظات المكتبة الأزهرية ، وهي نسخة مضبوطة مؤلفة من (٢٣) صفحة .

خطها نسخي حسن ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (١١) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٧) كلمات تقريباً .

وقد رمزنا لها بـ (د) .

النسخة الخامسة : من محفوظات المكتبة الأزهرية ، **تحمل الرقم** (٧٠ خاص/ ٤٤٦٠ عام ، تصوف) ، مؤلفة من (١٣) ورقة .

خطها نسخي جيد ، وعدد سطور كل صفحة (١٥) سطراً ،

وعدد الكلمات في السطر الواحد (٩) كلمات تقريباً .

وقد رمزنا لها بـ (هـ) .

النسخة السادسة : من محفوظات **معهد دراسات الثقافة الشرقية** بجامعة طوكيو ، **تحمل الرقم** (٢٢٩٩) ، وهي مؤلفة من (١٠) ورقات .

خطها نسخي جيد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (١٩) سطراً ، وعدد الكلمات في السطر الواحد (٩) كلمات تقريباً .

وقد رمزنا لها بـ (و) .

النسخة السابعة : من محفوظات **مكتبة جامعة الملك سعود** ، **تحمل الرقم** (٢٤٠٠) ، وهي ضمن مجموع فيه عشر رسائل ، مكونة من (١١) ورقة ؛ تبدأ من الورقة (٤) ، وتنتهي في الورقة (١٤) .

خطها نسخي معتاد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (٢١) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٨) كلمات تقريباً .

وتاريخ نسخها : سنة (١٠٩٥ هـ) .

وقد رمزنا لها بـ (ز) .

النسخة الثامنة : نسخة الشرح ، وهي من محفوظات المكتبة الأزهرية ، تحمل الرقم (١٨١٦ خاص/ ٤٢٩٩٧ عام ، آداب وفضائل) ، مؤلفة من (٨٥) ورقة .

خطها نسخي معتاد ، وعدد سطور الصفحة الواحدة (٢١) سطراً ، وعدد الكلمات في السطر الواحد (١٤) كلمة تقريباً .

وهي شرح علىٰ رسالة « أيُّها الولد » ، سماها مؤلفها الشيخ عبد الرحمٰن بن أحمد بن عمر ، الشهير بصبري بـ : « أيُّها الأخ شرح أيُّها الولد » .

ميز فيها المتن بوضع خط أعلاه .

وهي نسخة كاملة مفيدة نفيسة .

منهج العمل في الكتاب

اعتمدنا في إخراج هٰذا الكتاب اللطيف النافع **علىٰ سبع نسخٍ خطية** ، وعلىٰ **نسخة الشرح** الموسومة بـ « **أيُّها الأخ** » .

واتبعنا الخطوات التالية :

ـ **نسخنا الكتاب** ، وقابلناه علىٰ أصوله الخطية ، **وأثبتنا بعض الفروق** مما له أهمية ، ولاحظنا كثرة فروق النسخ ، **وسبب ذٰلك** : أن منها ما جُرِّد من شروح للكتاب ، أو وضع بهامشها جمل أو كلمات تناسب المعنىٰ ، **ويضاف إلىٰ ذٰلك** : عجمة بعض ناسخيها ، **فبذلنا الجهد للترجيح بين هٰذه الفروق** ، ونسأل الله أن نكون قد وفقنا لإثبات الصواب .

ـ **أثبتنا الآيات القرآنية** بالرسم العثماني ، **من رواية حفص عن عاصم** رحمهما الله تعالىٰ ، **وخرَّجناها** بذكر رقم السورة مع رقم الآية هٰكذا : (رقم السورة ٣ رقم الآية ١١) .

ـ **خرجنا الأحاديث النبوية والأخبار** من مصادرها .

ـ **نسبنا الأشعار لقائليها** مع بيان وزنها العروضي .

ـ **استعنَّا في ضبط بعض الكلمات** ، وترجيح بعض النسخ ، وشرح الكلمات الفارسية . . بمخطوطة « أيُّها الأخ شرح أيُّها

الولد » للعلامة عبد الرحمٰن بن أحمد بن عمر الرومي ، الشهير بصبري المتوفىٰ سنة (١١٣٩ هـ) .

ـ زينَّا الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة ، ووشيناه بالشكل ؛ تيسيراً على القارئ .

ـ صنعنا فهرساً ضمَّ عنواناتٍ رئيسةً وفرعيةً لجميع مقاطع الكتاب ، تبرز فحواه وتسهِّل الوصول إليه .

ونسأل الله العلي العظيم : أن يكرمنا وكلَّ مَنْ قرأ في هٰذا الكتاب بالإخلاص وحسن التوكل ، وسلوك طريق التربية ورياضة النفس ؛ لتلين في عبادة الله تعالىٰ ، وأن يختم لنا بخير ، ويحشرنا تحت لواء سيد المرسلين .

هٰذا ؛ وبعد نفاد طبعات الإصدار الأول . . كان لا بدَّ لنا من إعادة النظر في الكتاب ، فتمَّت إعادة قراءته وإضافة مزيد من التصحيحات والتعليقات المفيدة ، سائلين المولى القبول .

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وسلّم

اللّجنة العلميّة
بمركز دار المنهاج للدّراسات والتّحقيق العلميّ
يوم الأربعاء (١٣) ربيع الآخر (١٤٣٨هـ)
(١١) كانون الثّاني / يناير (٢٠١٧ م)

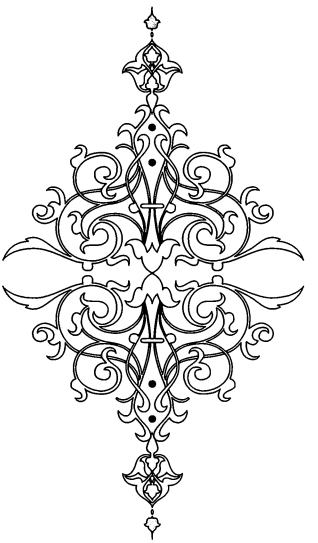

صور من المخطوطات المعتمدة

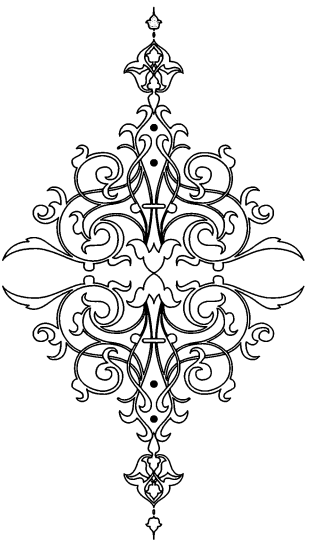

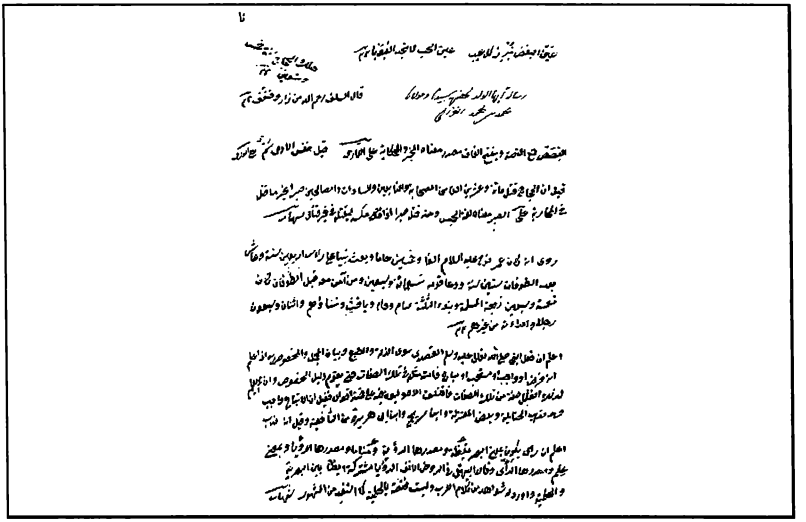

رموز ورقة العنوان للنسخة (أ)

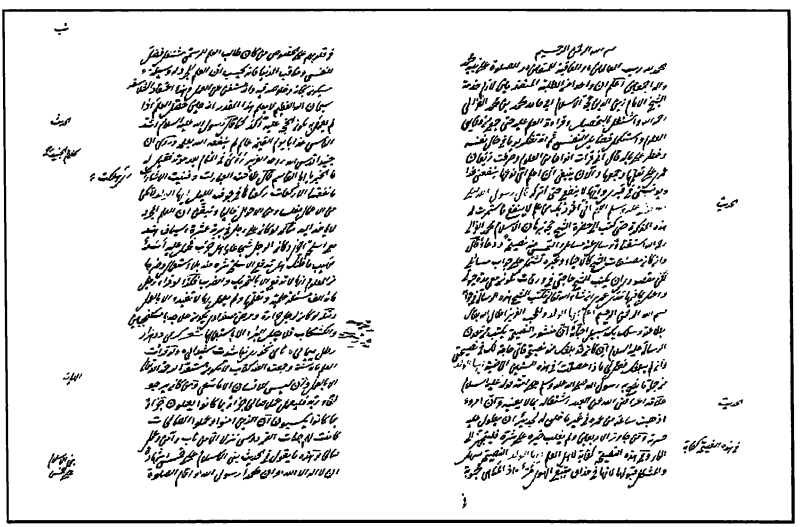

رموز الورقة الأولى للنسخة (أ)

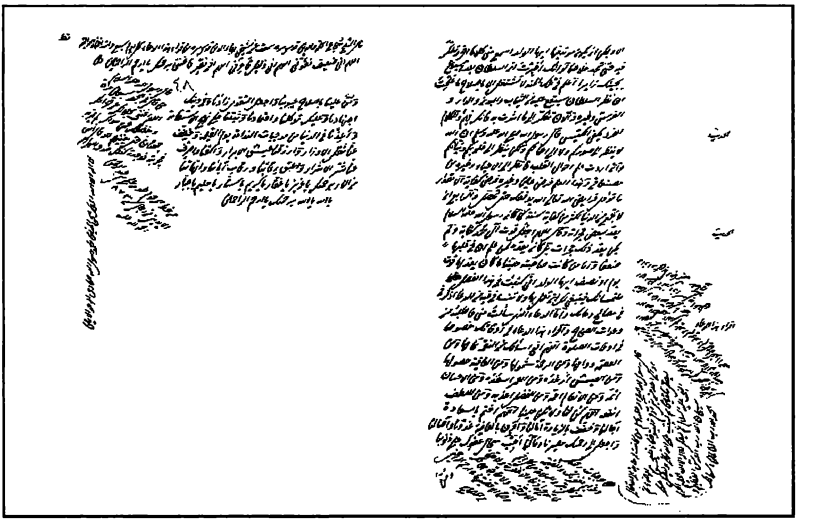

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)

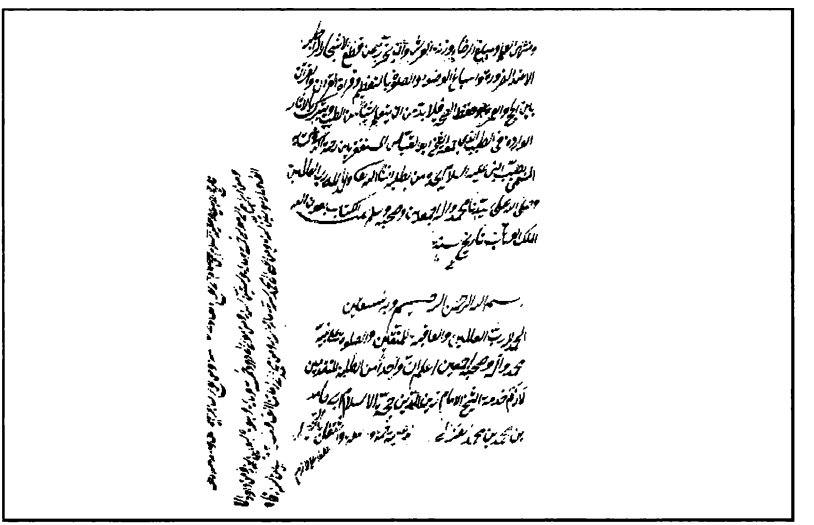

راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)

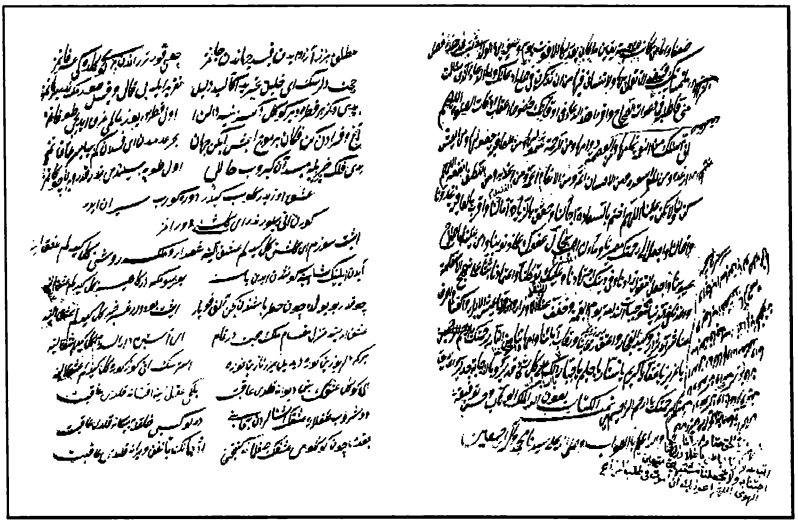

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

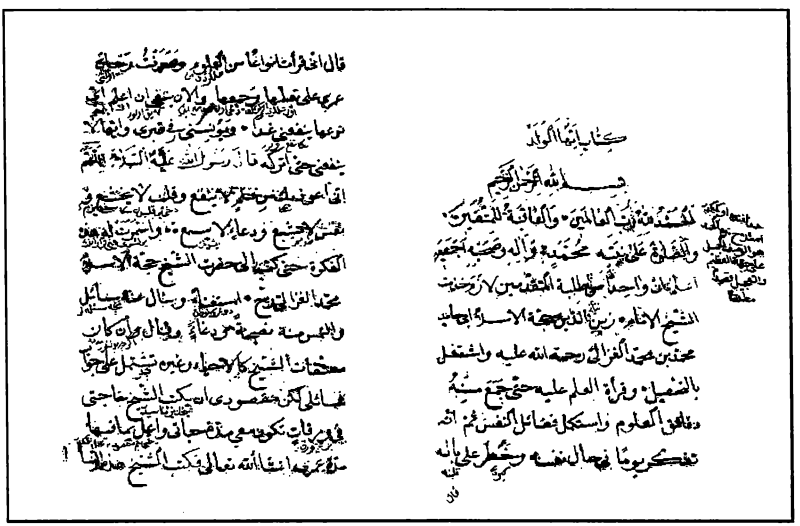

راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)

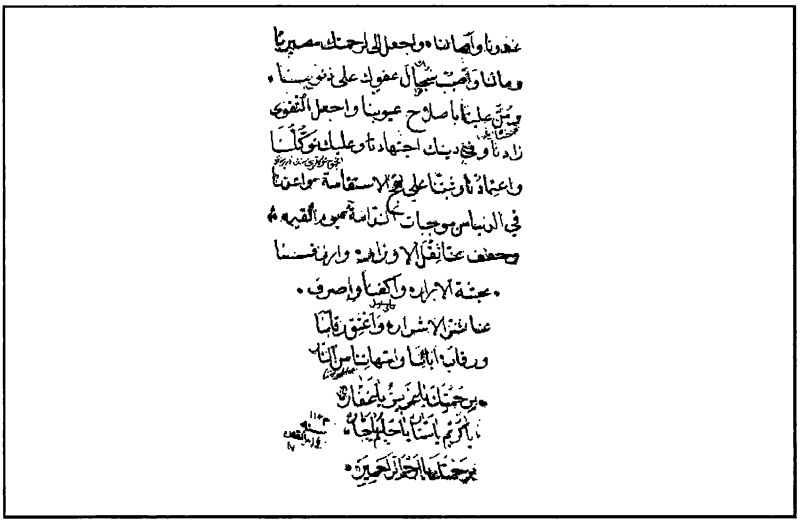

رموز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)

رموز الورقة الأولى للنسخة (د)

اعتمد ومن الفضل اعتد به ومن اللطف انفعه اللهم كن لنا
ولا تكن علينا اللهم اختم بالسعادة آجالنا وحقق
بالزيادة آمالنا واقرن بالعافية غدونا واصالنا واجعل
الى رحمتك مهجنا وما لنا اصبب بخالص عفوك على ذنوبنا
ومن علينا باصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك اجتهادنا
وعليك توكلنا واعتمادنا ثابتا على نهج الاستقامة واعتنا
في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيمة واخفف عنا
ثقل الاوزار وارزقنا مبشرة الابرار واكفنا واصرف عنا
شر الاشرار واعتق رقابنا وارقاب آبائنا وامهاتنا
من النار برحمتك يا عزيز يا غفار انك على كل شيء
قدير وبالاجابة جدير

رموز الورقة الأخيرة للنسخة (د)

هذه وصية الامام الغزالي
لواحد من الطلبة

اوقفه رحمه ورسل ابراهيم جلبي
البارودي على طلبة العلم بالازهر بخزانة
الشيخ الدمهوري

رموز ورقة العنوان للنسخة (هـ)

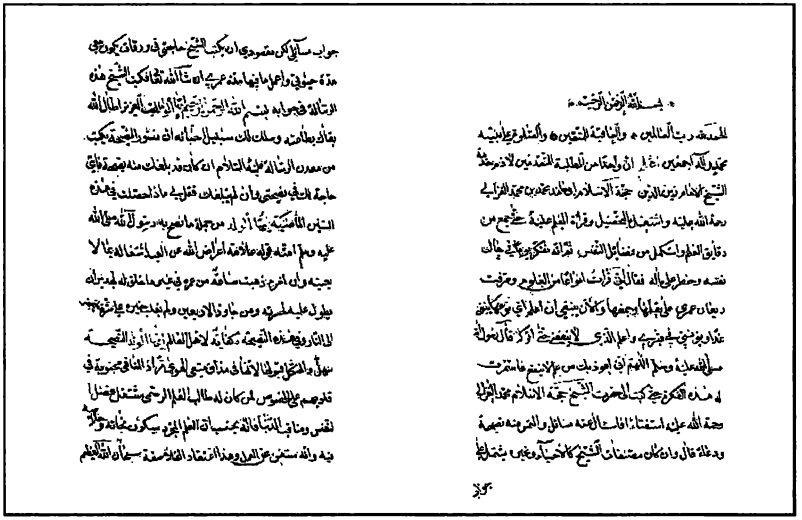

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد إن الواحد من العلماء المتقنين لا سيما سيدنا الشيخ العلامة زين الدين حجة الإسلام والمسلمين محمد بن محمد الغزالي رحمه الله عليه واسبغ عليه الفضل ورزقه النعيم عند جميع من وفق للعلم واستكمل من مفاضل النفس ثم الله شكر سعيه في جلال نفسه وصنعه على أهله فما أبقت ذرات الأيام من آثاره في الدين وعرفت ديباجات عمره على أجلها بجمعها وكان ينبغي أن أطول في وصفه لكن عذلني من هو أحق بي وأعلم بأمري لا يحتمل شيئاً أو كما قال الله سبحانه وتعالى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع اللهم هذه الذكرى حجة الشيخ حجة الإسلام محمد الغزالي حجة الله على استفتاء أهل أرضه سائل والعرض منه نصيحة ودعله قال وإن كان مستفاداً من الشيخ كما أخبر به وبين يدي

جواب سائلي مقصودي أن يكتب الشيخ ما يجري في رقاق يكون في هذه جوابي وأعلم أنها منه عربي إن شاء الله تعالى فكتب الشيخ هذه الرسالة فجواب بسم الله الرحمن الرحيم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم بقاء الله تعالى وسلك لك سبيل حياته أن سئلت الله أن سئلوا العصمة بكت من مصدر الرسالة على أم التمام إن كان قد بلغك منه بعصمة وفاتي حاجة لك في نصيحتي وإن لم يبلغك فقولي ما أحدث المستفتي في هذه السنين الأخيرة يجاب أن يراد من جملة ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته قوله عليه أفضل الصلاة والسلام عن الله عز وجل أنه قال لا يعبدني أحد من خلقي ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له يعبدني يطول عليه ملبسه ومن جاور الأربعين ولم يغلب حسناته على سيئاته فليجهز إلى النار وقبح وجهه كفاية لأهل العلم الذين أولوا النصيحة سهلاً والمعنى فيها لا أعرفه في هذا الوقت حتى أقرأه وأقف فيه تحرية في قد وصم على النفوس لمن كان له مال العلم الرحمن يستدل بفضل النفس ومناقبه المتناقلة جنب أن العلم الحق سيكون نجاته وكلاته فيه والله يستغني عن القول وهذا اعتقاد الله الأمة سبحانه الله العظيم

رموز الورقة الأولى للنسخة (هـ)

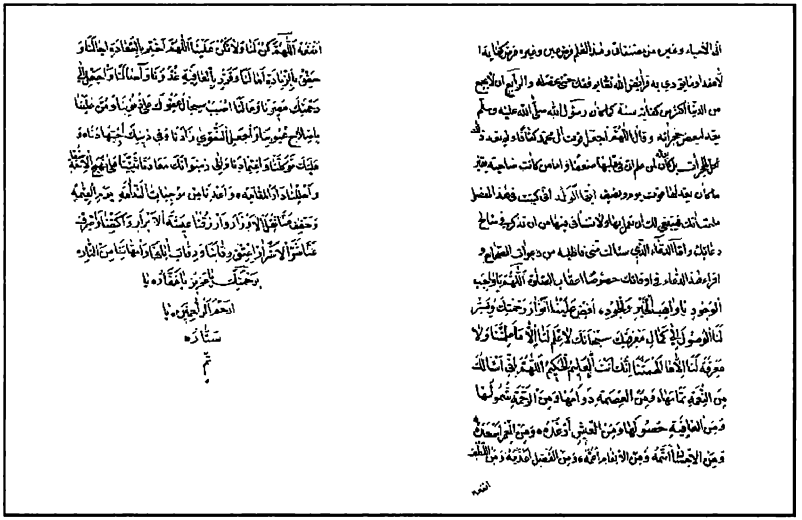

أن الفساد وقع من مستفاد ولم العلم ورثه من وقع فيه ورثه كما يرثه لأحد ولم يتوجه إلى أن يعلم الله تعالى بما فيه فرائض الله تعالى وأحكامه

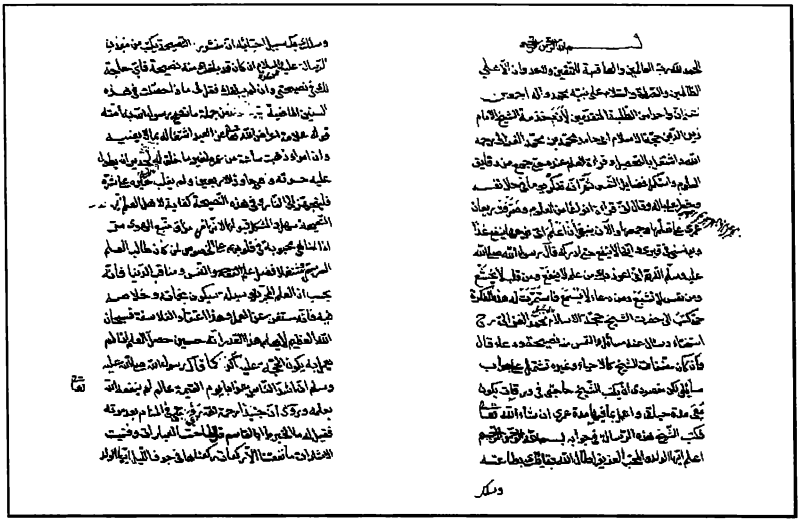

راموز الورقة الأولى للنسخة (و)

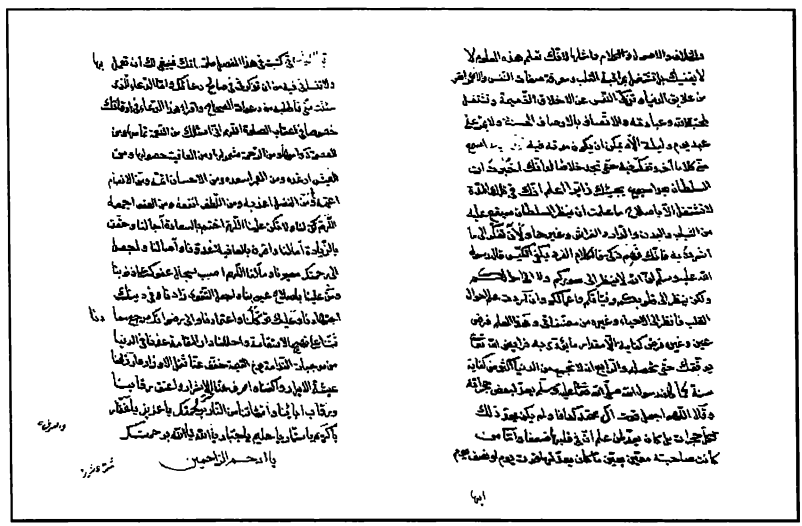

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (و)

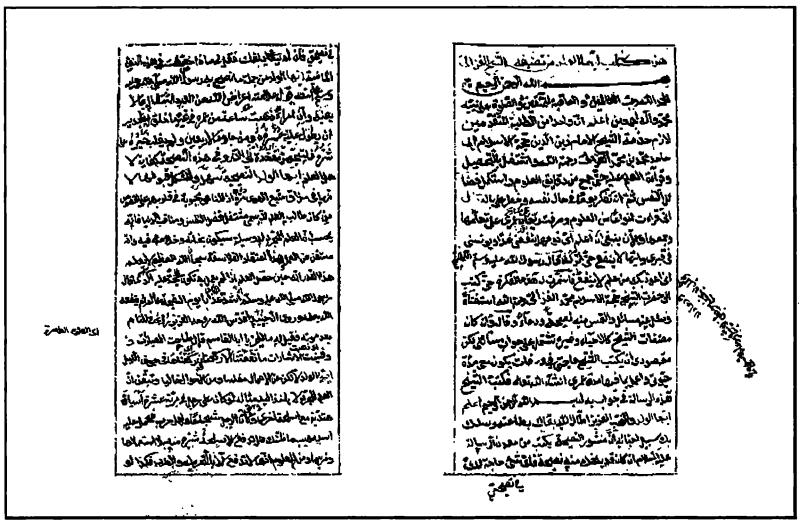

رموز الورقة الأولى للنسخة (ز)

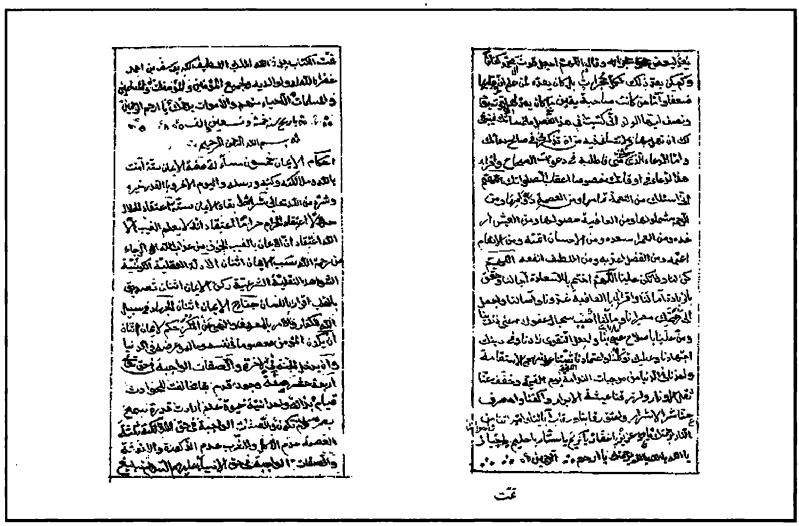

رموز الورقة الأخيرة للنسخة (ز)

أيها الولد

تأليف

الإمام المجدد، حجة الإسلام والمسلمين

زين الدين، أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي

الطوسي الطابراني الشافعي

رضي الله عنه

(٤٥٠-٥٠٥هـ)

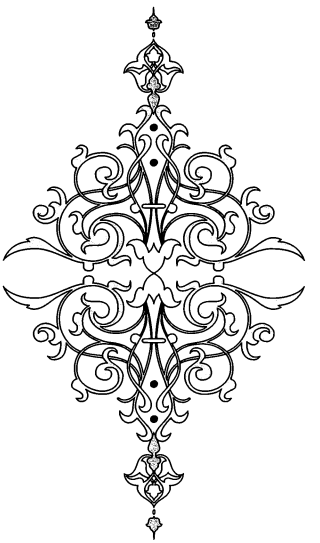

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والعاقبةُ للمُتَّقينَ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّهِ محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ .

اعلمْ : أنَّ واحداً مِنَ الطَّلَبةِ المُتقدِّمينَ . . لازمَ خدمةَ الشيخِ الإمامِ زَيْنِ الدِّينِ ، حُجَّةِ الإسلامِ : أبي حامدٍ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ ، واشتغلَ بالتحصيلِ وقراءةِ العِلْمِ عليهِ ؛ حتَّىٰ جمعَ مِنْ دقائقِ العلومِ ، واستكملَ فضائلَ النفسِ .

ثُمَّ إنَّهُ تفكَّرَ يوماً في حالِ نفسِهِ ، وخطرَ علىٰ بالِهِ ، فقالَ :

إنِّي قرأتُ أنواعاً مِنَ العلومِ ، وصرفتُ رَيْعانَ عُمري علىٰ تعلُّمِها وجمعِها ، والآنَ ينبغي أن أعلمَ أيُّ نوعِها ينفعُني غداً ، ويؤنسُني في قبري ؟ وأيُّها لا ينفعُ حتَّىٰ أتركَهُ ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ »[1] .

فاستمرَّتْ لهُ هٰذهِ الفكرةُ ؛ حتَّىٰ كتبَ إلىٰ حضرةِ الشيخِ حُجَّةِ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٢) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وأبو داوود (١٥٤٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه . وفي (ج ، ز ، و) زيادة : (ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع) .

الإسلامِ محمَّدٍ الغزاليِّ رحمَهُ اللهُ استفتاءً ، وسألَ عنهُ مسائلَ ، والتمسَ منهُ نصيحةً ودعاءً .

قالَ : وإن كان مُصنَّفاتُ الشيخِ كـ « الإحياءِ » وغيرِهِ تشتمِلُ علىٰ جوابِ مسائلي ؛ **لٰكنْ مقصودي** : أن يكتبَ الشيخُ حاجتي في ورقاتٍ **تكونُ معي مُدَّةَ حياتي ، وأعملُ بما فيها مُدَّةَ عُمري** إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

فكتبَ الشيخُ الإمامُ هٰذهِ الرسالةَ في جوابِهِ[1] :

(١) هٰذه الديباجة المازَّة من وضع الذين وقفوا على الرسالة . انظر « أيها الأخ » (ق/٢) .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعلمْ أيُّها الولدُ والمُحِبُّ العزيزُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَكَ بطاعتِهِ ، وسلكَ بكَ سبيلَ أحبَّائِهِ ـ : أنَّ منشورَ النصيحةِ يُكتَبُ مِنْ مَعدِنِ الرسالةِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ؛ إن كانَ قد بلغَكَ منهُ نصيحةٌ . . فأيُّ حاجةٍ لكَ في نصيحتي ؟!

وإن لم تبلغْكَ . . فقلْ لي : ماذا حصَّلتَ في هٰذهِ السنينَ الماضيةِ ؟!

أيُّها الولدُ

مِنْ جملةِ ما نصحَ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أمتَهُ . . قولُهُ : « عَلَامَةُ إِعْرَاضِ ٱللهِ عَنِ ٱلْعَبْدِ . . ٱشْتِغَالُهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ » (١) .

و : « إِنَّ ٱمْرَأً ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عُمُرِهِ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ . . لَجَدِيرٌ أَنْ تَطُولَ عَلَيْهِ حَسْرَتُهُ » (٢) .

---

(١) انظر « المؤتلف والمختلف » (١٦٩١/٣) ، و« حلية الأولياء » (١٣٤/١٠) ، و« التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » (٢٩٤/١) .

(٢) انظر « المجالسة وجواهر العلم » (١٨٤٠) ، و« تاريخ دمشق » (١٤٣/١٢) ، و« البداية والنهاية » (٣٠٧/٩) .

و : « مَنْ جَاوَزَ ٱلْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَغْلِبْ خَيْرُهُ عَلَىٰ شَرِّهِ . . فَلْيَتَجَهَّزْ إِلَى ٱلنَّارِ »[1] .

وفي هٰذهِ النصيحةِ كفايةٌ لأهلِ العِلْمِ .

النصيحةُ سهلٌ ، والمُشكِلُ قَبُولُها ؛ لأنَّها في مَذاقِ مُتَّبِعِي الهوىٰ مرٌّ ؛ إذِ المَناهي محبوبةٌ في قلوبِهِم ، على الخصوصِ مَنْ كانَ طالبَ العِلْمِ الرسميِّ ، مشتغلَ فضلِ النفسِ ومناقبِ الدنيا[2] ؛ فإنَّهُ يَحسَبُ أنَّ العِلْمَ المُجرَّدَ لهُ وسيلةٌ ، سيكونُ نجاتُهُ وخلاصُهُ فيهِ ، وأنَّهُ مستغنٍ عنِ العملِ ، وهٰذا اعتقادُ الفلاسفةِ .

سبحانَ اللهِ العظيمِ !! لا يعلمُ هٰذا القدرَ أنَّهُ حينَ حصَّلَ العِلْمَ إذا لم يعملْ بهِ . . تكونُ الحُجَّةُ عليهِ آكدَ ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللَّهُ بِعِلْمِهِ »[3] .

ورُوِيَ : أنَّ جُنيداً قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ العزيزَ رُئِيَ في المنامِ بعدَ

---

(١) أورده الديلمي في « الفردوس » (٥٥٤٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، ورواه ابن بَشْكُوال في « الصلة » (٥٥٢/٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أي : الذي يتشغل بالعلم لتترفع به نفسه على الأقران والأمثال .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٩٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٤٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٧/٥٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

موتِهِ ، فقِيلَ لهُ : (ما الخبرُ يا أبا القاسمِ ؟ قالَ : طاحَتِ العِباراتُ ، وفَنِيَتِ الإشاراتُ ، وما نفعَتْنا إلَّا رَكَعاتٌ ركَعْناها في جَوفِ الليلِ)[1] .

لا تكنْ مِنَ الأعمالِ مُفلِساً ، ومِنَ الأحوالِ خالياً ، وتيقَّنْ أنَّ العلمَ المُجرَّدَ لا يأخذُ اليدَ .

مثالُهُ : لو كانَ علىٰ رَجُلٍ في برِّيَّةٍ عشَرةُ أسيافٍ هنديَّةٍ معَ أسلحةٍ أُخرىٰ ، وكانَ الرجلُ شجاعاً وأهلَ حربٍ ، فحملَ عليهِ أسدٌ مَهيبٌ . . ما ظنُّكَ ؟

هل تدفعُ الأسلحةُ شرَّهُ منهُ بلا استعمالِها وضربِها ، ومِنَ المعلومِ أنَّها لا تدفعُ إلَّا بالتحريكِ والضربِ ؟!

فكذا لو قرأَ رجلٌ مئةَ ألفِ مسألةٍ علميَّةٍ ، وعلَّمَها وتعلَّمَها ولم يعملْ بها . . لا تفيدُهُ إلَّا بالعملِ .

ومثالُهُ : لو كانَ لرجلٍ حرارةٌ ومرضٌ صَفْراويٌّ . . يكونُ علاجُهُ بالسِّكَنْجُبينِ والكَشْكابِ[2] .

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٥٦) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٥٦/٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٥٧/١٠) جميعهم بألفاظ متقاربة ، والرائي : هو جعفر بن محمد الخُلْديُّ رحمه الله تعالىٰ .

(٢) السِّكَنْجُبين : خليط من خلٍّ وعسل ، والكَشْكاب : ماء الشعير .

فلا يحصلُ البُرءُ إلَّا باستعمالِهما .

كَرْ مَيْ دُو هِزَار رَطْل بَرْ پِيمَايى تَا مَيْ نَخُورىٰ نَبَا شَدَتْ شِيدَايى [1]

ولو قرأتَ العِلْمَ مئةَ سنةٍ ، وجمعتَ ألفَ كتابٍ . . لا تكونُ مُستعِدّاً لرحمةِ اللهِ تعالىٰ إلَّا بالعملِ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

فمَنْ قالَ : إنَّ هٰذهِ الآيةَ منسوخةٌ بقولِهِ عليهِ السلامُ : « إذَا مَاتَ ٱبْنُ آدَمَ . . ٱنْقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلَاثٍ . . . » الحديثَ [2] . . فالمنسوخُ هوَ هٰذا القائلُ .

ولئن كانَتْ منسوخةً . . فما تقولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴿١١٠﴾ ﴾ ، ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ ، ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ ، ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴿٧٠﴾ ﴾ ؟!

وما تقولُ في هٰذا الحديثِ : « بُنِيَ ٱلْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَإِقَامِ ٱلصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » ؟ [3] .

---

(١) البيت من مسدَّس الهزج وهو باللغة الفارسية ؛ ومعناه : لو أفرغتَ ألفي رطل خمراً في الكؤوس والأقداح . . لا تكون سكرانَ ومجنوناً ما لم تشربه ؛ أي : علم بلا عمل لا فائدة له .

(٢) رواه مسلم (١٦٣١) ، وأبو داوود (٢٨٧٢) ، والترمذي (١٣٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

والإيمانُ : قولٌ باللسانِ ، وتصديقٌ بالجَنانِ ، وعملٌ بالأركانِ .

ودليلُ الأعمالِ أكثرُ مِنْ أن يُحصىٰ ، وإن كانَ العبدُ يبلغُ الجنَّةَ بفضلِ اللهِ وكرمِهِ ، **ولٰكنْ بعدَ أن يستعدَّ بطاعتِهِ وعبادتِهِ** ؛ لأنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسنينَ .

ولو قِيلَ : يبلغُ أيضاً بمُجرَّدِ الإيمانِ .

قلنا : نعمْ ؛ لٰكنْ متىٰ يبلغُ ؟! كم مِنْ عَقَبةٍ كَؤُودٍ تستقبلُهُ إلىٰ أن يصلَ !!

أوَّلُ تلكَ العَقَباتِ : عَقَبةُ الإيمانِ ؛ أنَّهُ هل يسلَمُ مِنَ السَّلْبِ ، أم لا ؟ وإذا وصلَ . . يكونُ جَنِّيّاً مُفلِساً [1] .

قالَ الحسنُ البصريُّ رحمَهُ اللهُ : (**يقولُ اللهُ تعالىٰ لعبادِهِ يومَ القيامةِ : ادخُلُوا الجنَّةَ برحمتي ، واقتسِمُوها بقَدْرِ أعمالِكُم**) [2] .

---

(١) جَنِّيّاً ؛ أي : منسوباً إلى الجَنَّة ، والمعنىٰ : أنَّ العبد إن وصل إلى الجنة ؛ بأن سلم من العقبات التي أولُها حسنُ الخاتمة . . يكون مفلساً من المقامات العليا والدرجات العظمىٰ ؛ لأنَّ الترقِّي في مراتب الجنة إنما هو بقدر الأعمال في الدنيا .

(٢) أورده القرطبي في « التذكرة » (٧٩٤/٢) ، ورواه الحافظ ابن كثير في « الفتن والملاحم » الملحق بـ « البداية والنهاية » (٣٤٢/١٧ ـ ٣٤٣) بإسناد ابن أبي الدنيا عن سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً ؛ ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالىٰ يوم القيامة للمؤمنين : جُوزوا النار بعفوي ، وادخلوا الجنة برحمتي ، فاقتسموها بفضائل أعمالكم » .

ما لم تعملْ . . لم تجدِ الأجرَ .

حُكِيَ : أنَّ رجلاً في بني إسرائيلَ عبدَ اللهَ تعالىٰ سبعينَ سنةً ، فأرادَ اللهُ تعالىٰ أن يَجلُوَهُ على الملائكةِ ، فأرسلَ اللهُ تعالىٰ إليهِ مَلَكاً يُخبرُهُ : أنَّهُ معَ تلكَ العبادةِ لا يليقُ بهِ الجنَّةُ .

فلمَّا بلَّغَهُ . . قالَ العابدُ : نحنُ خُلِقْنا للعبادةِ ، فينبغي لنا أن نعبدَهُ .

فلمَّا رجعَ المَلَكُ . . قالَ اللهُ تعالىٰ : ماذا قالَ عبدِي ؟ قالَ : إلٰهي ؛ أنتَ أعلمُ بما قالَ العبدُ .

فقالَ اللهُ تعالىٰ : إذا هوَ لم يُعرِضْ عن عبادتِنا . . فنحنُ معَ الكرمِ لا نُعرِضُ عنهُ ، اشهَدُوا يا ملائكتي أنِّي قد غفرتُ لهُ[1] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا** »[2] .

وقالَ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنهُ : (**مَنْ ظنَّ أنَّهُ بدونِ الجَهْدِ يصلُ . .**

---

(١) أورد هٰذه الحكاية إسماعيل حقي في « روح البيان » (٣٠/٥) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٠٦) ، والإمام أحمد في « الزهد » (٦٣٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٠٠) ، وأورده المؤلف في « الإحياء » (١٣٠/٩) موقوفاً علىٰ سيدنا عمر رضي الله عنه .

فهوَ مُتمَنٍّ ، ومَنْ ظنَّ أنَّهُ ببَذْلِ الجَهْدِ يصلُ . . فهوَ مُتعَنٍّ)[١] .

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : (طلبُ الجنَّةِ بلا عملٍ . . ذنبٌ مِنَ الذُّنوبِ)[٢] .

وقالَ : (عَلَمُ الحقيقةِ[٣] : تركُ ملاحظةِ العملِ ، لا تركُ العملِ) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْكَيِّسُ : مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَٱلْأَحْمَقُ : مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّىٰ عَلَى ٱللهِ »[٤] .

أيُّها الوَلَدُ

كم مِنْ ليالٍ أحييتَها بتَكرارِ العِلْمِ ومطالعةِ الكُتبِ ، وحرَّمتَ علىٰ نفسِكَ النومَ ، لا أعلمُ ما كانَ الباعثُ فيهِ !!

إن كانَ نيَّتُكَ نيلَ عَرَضِ الدُّنيا ، وجَذبَ حُطامِها ، وتحصيلَ مناصبِها ، والمُباهاةَ على الأقرانِ والأمثالِ . . فويلٌ لكَ ، ثُمَّ ويلٌ لكَ .

---

(١) أورده في « قوت القلوب » (١/١٠٠) .

(٢) رواه أبو عبد الرحمٰن السُّلَمي في « طبقات الصوفية » (ص ٨٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٣٦٧) من قول معروف الكرخي رحمه الله تعالىٰ ، وأورده الثعلبي في « تفسيره » (٣/١٧٠) عن شهر بن حوشب رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أي : علامة الحقيقة .

(٤) رواه الترمذي (٢٤٥٩) ، وابن ماجه (٤٤٢٤) عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنهما .

وإن كانَ قصدُكَ فيهِ إحياءَ شريعةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتهذيبَ أخلاقِكَ ، وكسرَ النفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ . . فطُوبىٰ لكَ ، ثُمَّ طُوبىٰ لكَ .

ولقد صدقَ مَنْ قالَ [1] : [من الكامل]

سَهَرُ ٱلْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعُ وَبُكَاؤُهُنَّ لِغَيْرِ فَقْدِكَ بَاطِلُ

عِشْ ما شئتَ ؛ فإنَّكَ ميِّتٌ ، وأحبِبْ مَنْ شئتَ ؛ فإنَّكَ مُفارِقُهُ ، واعملْ ما شئتَ ؛ فإنَّكَ مَجزيٌّ بهِ .

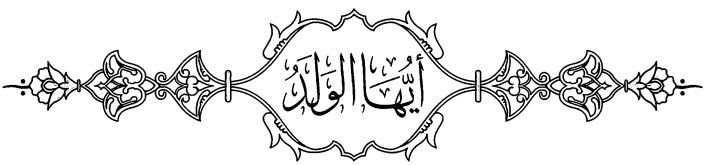

أيُّ شيءٍ حاصلُكَ مِنْ تحصيلِ علمِ الكلامِ والخلافِ ، والطبِّ ، والدواوينِ والأشعارِ ، والنجومِ ، والعَروضِ والنحوِ والتصريفِ . . غيرَ تضييعِ العُمرِ ؟! بجلال ذي الجلالِ [2] .

إنِّي رأيتُ في إنجيلِ عيسىٰ عليه السلامُ قالَ : مِنْ ساعةِ أن

---

(١) أورد البيت في « الضوء اللامع » (٣٢/٨) ، و« الكشكول » (١٨٥/٢) ، وعزاه بعضهم لخالد بن يزيد البغدادي الكاتب .

(٢) أي : أقسم بحقِّ جلال ذي الجلال . انظر « أيها الأخ » (ق/٢٧) .

يُوضَعَ الميتُ على الجنازةِ إلىٰ أن يُوضَعَ علىٰ شَفيرِ القبرِ . . يسألُ اللهُ تعالىٰ بعظمتِهِ منهُ أربعينَ سؤالاً ؛ أوَّلُهُ : يقولُ اللهُ تعالىٰ : عبدي ؛ طهَّرتَ منظرَ الخلقِ سنينَ ، وما طهَّرتَ منظري ساعةً ، وكلَّ يومٍ ننظرُ في قلبِكَ !!

يقولُ اللهُ تعالىٰ : ما تصنعُ بغيري ، وأنتَ محفوفٌ بخيري ؟! أَمَا أنتَ أصمُّ لا تسمعُ .

العِلْمُ بلا عملٍ جنونٌ ، والعملُ بلا علمٍ لا يكونُ .

واعلمْ : أنَّ عِلماً لا يُبعِدُكَ اليومَ عنِ المعاصي ، ولا يحملُكَ على الطاعةِ . . لن يُبعِدَكَ غداً عن نارِ جهنَّمَ .

وإذا لم تعمَلِ اليومَ ، ولم تَدَّارَكِ الأيَّامَ الماضيةَ . . تقولُ غداً يومَ القيامةِ : ﴿ فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا ﴾ ، فيُقالُ : يا أحمقُ ؛ أنتَ مِنْ هناكَ تجيءُ .

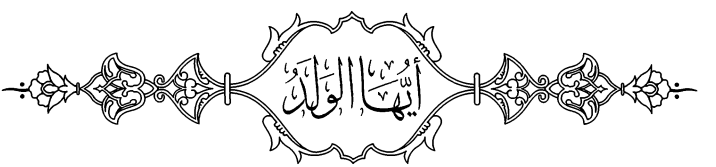

اجعلِ الهِمَّةَ في الرُّوحِ ، والهزيمةَ في النفسِ ، والموتَ في

البدنِ ؛ لأنَّ منزلَكَ القبرُ ، وأهلُ المقابرِ ينتظرونَكَ في كلِّ لحظةٍ متىٰ تصلُ إليهِم .

إيَّاكَ ثمَّ إيَّاكَ أن تصلَ إليهِم بلا زادٍ .

قالَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (**هٰذهِ الأجسادُ** : إمَّا قفصُ الطُّيورِ ، أو إصطبلُ الدَّوابِّ) .

فتفكَّرْ في نفسِكَ مِنْ أيِّهِما أنتَ ؟!

إن كنتَ مِنَ الطُّيورِ العُلْويَّةِ ؛ فحينَ تسمعُ طنينَ طبلِ : ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴿٢٨﴾ ﴾ . . تطيرُ صاعداً إلىٰ أن تقعدَ **في أعالي بُروجِ الجِنانِ** ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱهۡتَزَّ عَرۡشُ ٱلرَّحۡمَٰنِ لِمَوۡتِ سَعۡدِ بۡنِ مُعَاذٍ »[1] .

والعياذُ باللهِ تعالىٰ **إن كنتَ مِنَ الدَّوابِّ** ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴿١٧٩﴾ ﴾ . . **فلا تأمنِ انتقالَكَ مِنْ زاويةِ الدارِ إلىٰ هاويةِ النارِ .**

ورُوِيَ : أنَّ الحسنَ البصريَّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ أُعطِيَ شَرْبةً مِنْ ماءٍ باردٍ ، فلمَّا أخذَ القَدَحَ . . غُشِيَ عليهِ ، وسقطَ مِنْ يدِهِ .

فلمَّا أفاقَ . . قِيلَ لهُ : **ما لكَ يا أبا سعيدٍ ؟!**

---

(١) رواه البخاري (٣٨٠٣) ، ومسلم (٢٤٦٦) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

قالَ : (ذكرتُ أُمْنِيَّةَ أهلِ النارِ حينَ يقولونَ لأهلِ الجنَّةِ : ﴿ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾)[1] .

لو كانَ العلمُ المُجرَّدُ كافياً لكَ ، ولا تحتاجُ إلىٰ عملٍ سواهُ . . لكانَ نداءُ اللهِ تعالىٰ : « هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ »[2] ضائعاً بلا فائدةٍ .

ورُوِيَ : أنَّ جماعةً مِنَ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهِم أجمعينَ ذكروا عبدَ اللهِ بنَ عمرَ عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « نِعْمَ ٱلرَّجُلُ هُوَ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِٱللَّيْلِ »[3] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لرجلٍ مِنْ أصحابِهِ : « يَا فُلَانُ ؛ لَا تُكْثِرِ ٱلنَّوْمَ بِٱللَّيْلِ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلنَّوْمِ بِٱللَّيْلِ تَدَعُ صَاحِبَهُ فَقِيراً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ »[4] .

---

(١) الأثر رواه بنحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٨٩/٦) ، وابن رجب في « التخويف من النار » (ص ١٥٨) .

(٢) رواه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (١١٢٢) ، ومسلم (٢٤٧٩) .

(٤) رواه ابن ماجه (١٤١١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤١٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧٦/٢٢) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

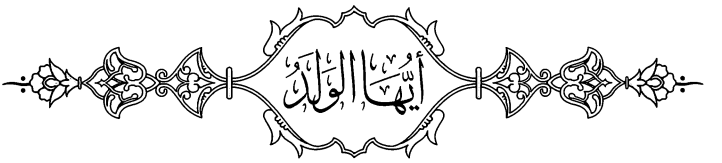

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ ﴾ : **أمرٌ** ، ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ : **شكرٌ** ، ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾ : **ذكرٌ** [١] .

قالَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « **ثَلَاثَةٌ أَصْوَاتٍ يُحِبُّهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ** : صَوْتُ ٱلدِّيكِ ، وَصَوْتُ ٱلَّذِي يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ ، وَصَوْتُ ٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ » [٢] .

قالَ سفيانُ الثوريُّ رحمَهُ اللهُ : (**إنَّ اللهَ تعالىٰ خلقَ ريحاً تهُبُّ وقتَ الأسحارِ ، تحملُ الأذكارَ والاستغفارَ إلى المَلِكِ الجبَّارِ**) [٣] .

وقالَ أيضاً : (إذا كانَ أوَّلُ الليلِ . . ينادي مُنادٍ مِنْ تحتِ العرشِ : **أَلَا لِيَقُمِ العابدونَ** ، فيقومونَ ويصلُّونَ ما شاءَ اللهُ .

---

(١) فالعامل وغير العامل لا يستويان ؛ إذ لو كانا متساويين . . لما مدح الله تعالىٰ وذكر عباده الذين يتهجدون بالليل ويستغفرون بالأسحار في كتابه الكريم . انظر « أيها الأخ » (ق/٣٢) .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس » (٢٥٣٨) ، والثعلبي في « تفسيره » (٣٠/٣) عن السيدة أم سعد بنت زيد بن ثابت رضي الله عنهما .

(٣) أورده الثعلبي في « تفسيره » (٣١/٣) ، ورواه أبو عبد الرحمٰن السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٣٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٢/٥٤) من قول أبي بكر محمد بن علي الكتَّاني رحمه الله تعالىٰ .

ثمَّ ينادي مُنادٍ في شطرِ الليلِ : **أَلَا لِيَقُمِ القانتونَ** ، فيقومونَ ويصلُّونَ إلى السَّحَرِ .

فإذا كانَ السَّحَرُ . . ينادي مُنادٍ : **أَلَا لِيَقُمِ المستغفرونَ** ، فيقومونَ ويستغفرونَ .

فإذا طلعَ الفجرُ . . نادىٰ مُنادٍ : **أَلَا لِيَقُمِ الغافلونَ** ، فيقومونَ مِنْ فُرُشِهِم كالموتىٰ نُشِرُوا مِنْ قبورِهِم)[1] .

رُئِيَ في وصايا لقمانَ الحكيمِ لابنِهِ أنَّهُ قالَ : (**يا بُنيَّ ؛ لا يكونَنَّ الدِّيكُ أكيسَ منكَ ؛ ينادي بالأسحارِ وأنتَ نائمٌ**)[2] .

ولقد أحسنَ مَنْ قالَ[3] : [من الطويل]

لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ ... عَلَىٰ فَنَنٍ وَهْناً وَإِنِّي لَنَائِمُ

كَذَبْتُ وَبَيْتِ ٱللهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقاً ... لَمَا سَبَقَتْنِي بِٱلْبُكَاءِ ٱلْحَمَائِمُ

أَأَزْعُمُ أَنِّي هَائِمٌ ذُو صَبَابَةٍ ... لِرَبِّي وَلَا أَبْكِي وَتَبْكِي ٱلْبَهَائِمُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٣١٠) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٤٠٣) عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١٩٥٣٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٠٦) .

(٣) الأبيات لمجنون ليلىٰ في « ديوانه » (ص ٢٣٨) .

خلاصةُ العلمِ : أن تعلمَ أنَّ الطاعةَ والعبادةَ ما هِيَ .

اعلمْ : أنَّ الطاعةَ والعبادةَ **متابعةُ الشارعِ في الأوامرِ والنواهي** ، بالقولِ والفعلِ ؛ يعني : **كلُّ ما تقولُ وتفعلُ** ، وتتركُ قولَهُ وفعلَهُ . . **يكونُ باقتداءِ الشرعِ** ؛ كما لو صُمتَ يومَيِ العيدِ وأيامَ التشريقِ . . **تكونُ عاصياً** .

أو صلَّيتَ في ثوبٍ مغصوبٍ أو في ثوبٍ لبسُهُ حرامٌ ؛ كالحريرِ في الرجالِ وإن كانَتْ صورتُهُ عبادةً . . **تأثمُ** .

فينبغي لكَ أن يكونَ قولُكَ وفعلُكَ موافقاً للشرعِ ؛ **إذِ العِلْمُ** والعملُ **بلا اقتداءِ الشرعِ ضلالةٌ** .

وينبغي لكَ ألَّا تغترَّ بشطحِ وطامَّاتِ الصوفيَّةِ ؛ **لأنَّ سلوكَ هٰذا الطريقِ يكونُ بالمجاهدةِ** ، وقطعِ شهوةِ النفسِ ، **وقتلِ هواها بسيفِ الرياضةِ** ، لا بالطامَّاتِ والتُّرَّهاتِ .

واعلمْ : **أنَّ اللسانَ المُطلَقَ** ، والقلبَ المُطبَقَ المملوءَ

بالغفلةِ والشهوةِ . . علامةُ الشَّقاوةِ ، حتىٰ لا تقتلَ نفسَكَ بصدقِ المجاهدةِ . . لن تحييَ قلبَكَ بأنوارِ المعرفةِ[1] .

واعلمْ : أنَّ بعضَ مسائِلِكَ التي سألتَني عنها لا يستقيمُ جوابُهُ بالكتابةِ والقولِ ؛ بل إن تبلغْ تلكَ الحالةَ . . تعرفْ ما هِيَ ، وإلَّا . . فعِلمُها مِنَ المستحيلاتِ ؛ لأنَّها ذوقيَّةٌ ، وكلُّ ما يكونُ ذوقيّاً . . لا يستقيمُ وصفُهُ بالقولِ ؛ كحلاوةِ الحلوِ ومرارةِ المرِّ لا تُعرَفُ إلَّا بالذوقِ .

كما حُكِيَ : أنَّ عِنّيناً كتبَ إلىٰ صاحبٍ لهُ : عرِّفْني لذَّةَ المُجامعةِ كيفَ تكونُ ؟

فكتبَ في جوابِهِ : يا فلانُ ؛ إنّي كنتُ حسبتُكَ عِنّيناً فقطْ ، والآنَ عرفتُ أنَّكَ عِنّينٌ وأحمقُ ؛ لأنَّ هٰذهِ اللذَّةَ ذوقيَّةٌ ؛ إن تصلْ إليها . . تعرِفْ ، وإلَّا . . لا يستقيمُ وصفُها بالقولِ والكتابةِ .

أيُّها الوَلَدُ

بعضُ مسائِلِكَ مِنْ هٰذا القَبيلِ .

وأمَّا البعضُ الذي يستقيمُ لهُ الجوابُ . . فقد ذكرناهُ في

(١) أي : لن تجعل قلبك حياً بأنوار معرفة الله تعالىٰ وأذكاره حتىٰ تقتل نفسك بالمجاهدة الصادقة ؛ فإن لم تقتلها . . فلن يحيا قلبك بنور المعرفة ، فتنبه .

« إحياءِ العلومِ » وغيرِهِ ، ونذكرُ هنا نُبَذاً منهُ ، ونشيرُ إليهِ :

فأوَّلُ سؤالِكَ : قد سألتَني عنِ السالكِ ما وجبَ عليهِ ؟

فنقولُ : قد وجبَ على السالكِ أربعةُ أمورٍ :

أوَّلُ الأمرِ : اعتقادٌ صحيحٌ ، لا يكونُ فيهِ بدعةٌ .

والثاني : توبةٌ نصوحٌ ، لا ترجعُ بعدَهُ إلى الزَّلَّةِ .

والثالثُ : استرضاءُ الخصومِ حتَّىٰ لا يبقىٰ لأحدٍ عليكَ حقٌّ .

والرابعُ : تحصيلُ علمِ الشريعةِ قدرَ ما تؤدِّي بهِ أوامرَ اللهِ تعالىٰ ، فالزيادةُ علىٰ هٰذا القدرِ ليسَ بواجبٍ ، ثمَّ مِنْ علومِ الآخرةِ ما يكونُ فيهِ النجاةُ[1] .

حُكِيَ : أنَّ الشِّبليَّ رحمَهُ اللهُ خدمَ أربعَ مئةِ أستاذٍ ، وقالَ : قرأتُ أربعةَ آلافِ حديثٍ ، ثمَّ اخترتُ منها حديثاً واحداً عملتُ بهِ ، وخلَّيتُ ما سواهُ ؛ لأنِّي تأمَّلتُ فوجدتُ خَلاصي ونَجاتي فيهِ ، وكانَ علمُ الأوَّلينَ والآخِرينَ كلُّهُ مندرجاً فيهِ ، فاكتفيتُ بهِ .

وذٰلكَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لبعضِ أصحابِهِ : « **اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ بِقَدْرِ مُقَامِكَ فِيهَا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ بِقَدْرِ بَقَائِكَ**

---

(١) وهٰذه الواجبات هي شروط في السالك طريقَ الحق ، وسيذكر المصنف رحمه الله تعالىٰ بعد قصة الشبلي وحاتم الأصم الواجباتِ لهٰذا السالك .

فِيهَا ، وَٱعْمَلْ لِلهِ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ ، وَٱعْمَلْ لِلنَّارِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَيْهَا »[1] .

إذا عملتَ بهٰذا الحديثِ . . لا حاجةَ لكَ إلى العلمِ الكثيرِ[2] .

وتأمَّلْ في حكايةٍ أخرىٰ :

وهِيَ : أنَّ حاتِمَ الأصمِّ كانَ مِنْ أصحابِ شَقيقٍ البلخيِّ رحمةُ اللهِ تعالىٰ عليهِما ، فسألَهُ يوماً وقالَ : صاحبتَني منذُ ثلاثينَ سنةً ، ما حاصلُكَ فيها ؟

قالَ : حصَّلتُ ثمانيَ فوائدَ مِنَ العلمِ ، وهِيَ تكفيني منهُ ؛ لأنِّي أرجو خَلاصي ونَجاتي فيها .

فقالَ شَقيقٌ : ما هِيَ ؟

قالَ حاتِمٌ :

الفائدةُ الأُولىٰ : أنِّي نظرتُ إلى الخلقِ ، فرأيتُ لكلٍّ منهُم

---

(١) أورد القصة المفسر إسماعيل حقي في « روح البيان » (٣٦/٨) ، وفي (ب ، ج ، و ، ز) زيادة : (فإذا أردت أن تعصي مولاك . . فاطلب مكاناً لا يراك) .

(٢) لأن الغرض من العلم : العملُ بموجَبه ومقتضاه ، ومَنْ عمل بهٰذا الحديث . . فإنه يكفي للانتفاع به يوم القيامة ؛ لأنَّ علوم الأولين والآخرين مجموعة فيه . انظر « أيها الأخ » (ق/٤٢) ، وفي (أ ، ب) زيادة : (لأنَّ العلم الكثير وتحصيله من فرض الكفاية) .

محبوباً ومعشوقاً يحبُّهُ ويعشَقُهُ ، وبعضُ ذٰلكَ المحبوبِ يصاحبُهُ إلىٰ مرضِ الموتِ ، وبعضُهُ يصاحبُهُ إلىٰ شَفيرِ القبرِ .

ثُمَّ يرجِعُ كلُّهُ ويتركُهُ فريداً وحيداً ، ولا يدخلُ معَهُ في قبرِهِ منهُم أحدٌ .

فتفكَّرتُ وقلتُ : **أفضلُ محبوبِ المرءِ ما يدخلُ معَهُ في قبرِهِ ويؤنسُهُ فيهِ** ، فما وجدتُهُ **إلَّا الأعمالَ الصالحةَ** ، فأخذتُها محبوباً لي ؛ **لتكونَ سراجاً في قبري** ، وتؤنسَني فيه ولا تتركَني فريداً .

والفائدةُ الثانيةُ : أنِّي رأيتُ الخلقَ يقتدونَ أهواءَهُم ، ويبادرونَ إلىٰ مُراداتِ أنفسِهِم .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ ، **وتيقَّنتُ أنَّ القرآنَ حقٌّ صادقٌ** .

فبادرتُ إلىٰ خلافِ نفسي ، وتشمَّرتُ لمجاهدتِها ، وما متَّعتُها بهواها ، حتَّى ارتاضَتْ لطاعةِ اللهِ تعالىٰ ، وانقادَتْ لها .

والفائدةُ الثالثةُ : أنِّي رأيتُ كلَّ واحدٍ مِنَ الناسِ **يسعىٰ في جمعِ حُطامِ الدنيا** ، ثمَّ يُمسِكُهُ قابضاً يدَهُ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

فبذلتُ محصولي مِنَ الدنيا لوجهِ اللهِ تعالىٰ ، ففرَّقتُهُ بينَ المساكينِ ؛ ليكونَ ذُخراً لي عندَ اللهِ تعالىٰ .

والفائدةُ الرابعةُ : أنِّي رأيتُ بعضَ الخلقِ يظنُّ أنَّ شرفَهُ وعزَّهُ في كثرةِ الأقوامِ والعشائرِ ، فاعتزَّ بهِم .

وزعمَ آخرونَ أنَّهُ في ثروةِ الأموالِ وكثرةِ الأولادِ ، فافتخروا بها .

وحَسِبَ بعضُهُم أنَّ العزَّ والشرفَ في غصبِ أموالِ الناسِ وظلمِهِم وسفكِ دمائِهِم .

واعتقدَتْ طائفةٌ أنَّهُ في إتلافِ المالِ وإسرافِهِ وتبذيرِهِ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ .

فاخترتُ التقوىٰ ، واعتقدتُ أنَّ القرآنَ حقٌّ صادقٌ ، وظنَّهُم وحِسبانَهُم كلَّها باطلٌ زائلٌ .

والفائدةُ الخامسةُ : أنِّي رأيتُ الناسَ يذُمُّ بعضُهُم بعضاً ، ويغتابُ بعضُهُم بعضاً ، فوجدتُ ذٰلكَ مِنَ الحسدِ في المالِ والجاهِ والعِلْمِ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٢﴾ ﴾ .

فعلمتُ أنَّ القسمةَ كانَتْ مِنَ اللهِ تعالىٰ في الأزَلِ ، فما حسدتُ أحداً ، ورضيتُ بقسمةِ اللهِ تعالىٰ .

والفائدةُ السادسةُ : أنِّي رأيتُ الناسَ يُعادي بعضُهُم بعضاً لغرضٍ وسببٍ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴿٦﴾ ﴾ .

فعلمتُ أنَّهُ لا يجوزُ عداوةُ أحدٍ غيرِ الشيطانِ ، فاتخذتُهُ عدوّاً ، وتركتُ غيرَهُ .

والفائدةُ السابعةُ : أنِّي رأيتُ كلَّ أحدٍ يسعىٰ بجِدٍّ ، ويجتهدُ بمبالغةٍ ؛ لطلبِ القُوت والمَعاشِ بحيثُ يقعُ بهِ في شُبهةٍ وحرامٍ ، ويُذِلُّ نفسَهُ ، ويُنقِصُ قدرَهُ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴿٦﴾ ﴾ .

فعلمتُ أنَّ رزقي على اللهِ تعالىٰ ، وقد ضمنَهُ ، فاشتغلتُ بعبادتِهِ ، وقطعتُ طمعي عمَّن سواهُ .

والفائدةُ الثامنةُ : أنِّي رأيتُ كلَّ واحدٍ معتمداً إلىٰ شيءٍ مخلوقٍ :

بعضُهُم إلى الدينارِ والدرهمِ .

وبعضُهُم إلى المالِ والمُلكِ .

وبعضُهُم إلى الحِرفةِ والصناعةِ .

وبعضُهُم إلىٰ مخلوقٍ مثلِهِ .

فتأمَّلتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ .

فتوكَّلتُ على اللهِ ؛ فهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ .

فقالَ شَقيقٌ : وفَّقَكَ اللهُ تعالىٰ يا حاتِمُ ؛ إنِّي قد نظرتُ التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ والفرقانَ ، فوجدتُ الكتبَ الأربعةَ تدورُ علىٰ هٰذهِ الفوائدِ الثمانيةِ ، فمَنْ عملَ بها . . كانَ عاملاً بهٰذهِ الكتبِ الأربعةِ[1] .

أيُّها الوَلَدُ

قد علمتَ مِنْ هاتينِ الحكايتينِ أنَّكَ لا تحتاجُ إلىٰ تكثيرِ العلمِ .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤٢/٢٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧٩/٨) مختصراً .

والآنَ أُبيِّنُ لكَ ما يجبُ علىٰ سالكِ سبيلِ الحقِّ [1] .

فاعلمْ : أنَّهُ ينبغي للسالكِ **شيخٌ مرشدٌ مربٍّ** ؛ ليُخرِجَ الأخلاقَ السوءَ منهُ بتربيتِهِ ، ويجعلَ مكانَها خُلُقاً حسناً .

ومعنى التربيةِ : يشبهُ فعلَ الفلَّاحِ الذي يقلَعُ الشوكَ ، ويُخرجُ النباتاتِ الأجنبيةَ مِنْ بينِ الزرعِ ؛ ليحسُنَ نباتُهُ ، ويكمُلَ رَيْعُهُ .

ولا بدَّ للسالكِ مِنْ شيخٍ يربّيهِ ، ويُرشِدُهُ إلىٰ سبيلِ اللهِ تعالىٰ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ أرسلَ إلى العبادِ رسولاً للإرشادِ إلىٰ سبيلِهِ ، **فإذا ارتحلَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الدنيا . . فقد خَلَّفَ الخلفاءَ في مكانِهِ** ؛ حتَّىٰ يُرشِدوا الخلائقَ إلى اللهِ تعالىٰ .

وشرطُ الشيخِ الذي يصلُحُ أن يكونَ نائباً لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . **أن يكونَ عالِماً** ، لا أنَّ كلَّ عالِمٍ يصلُحُ لهُ .

وإنِّي أُبيِّنُ لكَ بعضَ علاماتِهِ علىٰ سبيل الإجمالِ ؛ حتَّىٰ لا يدَّعيَ كلُّ أحدٍ أنَّهُ مُرشِدٌ ، فنقولُ :

هوَ مَنْ يُعرِضُ عن حبِّ الدنيا وحبِّ الجاهِ .

وكانَ قد تابعَ لشخصٍ بصيرٍ يتسلسلُ متابعتُهُ إلىٰ سيِّدِ المرسلينَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

---

(١) وهي أربعة أمور : الأولُ : أن يختار الشيخَ المربيَّ ، والثاني : أن يحترمه ظاهراً وباطناً ، والثالثُ : أن يحترز عن مجالسة صاحب السوء ، والرابعُ : أن يختار الفقرَ على الغنىٰ .

وكانَ مُحسِناً رياضةَ نفسِهِ ؛ مِنْ قِلَّةِ الأكلِ والشربِ ، والقولِ والنومِ ، وكثرةِ الصلاةِ والصدقةِ والصومِ .

وكانَ بمتابعةِ الشيخِ البصيرِ جاعلاً محاسنَ الأخلاقِ لهُ سيرةً ؛ كالصبرِ والشكرِ ، والتوكُّلِ واليقينِ ، والسَّخاوةِ والقناعةِ ، وطُمأنينةِ النفسِ ، والحِلمِ والتواضعِ ، والعِلْمِ والصدقِ ، والحياءِ والوفاءِ ، والوَقارِ والسُّكونِ والتأنِّي ، وأمثالِها .

فهوَ إذاً نورٌ مِنْ أنوارِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يصلُحُ الاقتداءُ بهِ ؛ لٰكنَّ وجودَ مثلِهِ نادرٌ أعزُّ مِنَ الكبريتِ الأحمرِ .

ومَنْ ساعدَتْهُ السعادةُ فوجدَ شيخاً كما ذكرنا ، وقبِلَهُ الشيخُ . . فينبغي أن يحترمَهُ ظاهراً وباطناً .

أمَّا احترامُ الظاهرِ . . فهوَ ألَّا يجادلَهُ ، ولا يشتغلَ بالاحتجاجِ معَهُ في كلِّ مسألةٍ وإن علمَ خطأَهُ ، ولا يُلقيَ بينَ يديهِ سَجَّادتَهُ إلَّا وقتَ أداءِ الصلاةِ ، فإذا فرغَ . . يرفعُها ، ولا يُكثرَ نوافلَ الصلاةِ بحضرتِهِ ، ويعملَ ما يأمرُهُ الشيخُ مِنَ العملِ بقدرِ وُسْعِهِ وطاقتِهِ .

وأمَّا احترامُ الباطنِ . . فهوَ أنَّ كلَّ ما يسمعُ مِنَ الشيخِ ويقبلُ منهُ في الظاهرِ . . لا يُنكِرُهُ في الباطنِ ، لا فعلاً ولا قولاً ؛ لئلَّا يتَّسمَ بالنفاقِ ، وإن لم يستطعْ . . يتركْ صُحبتَهُ إلىٰ أن يوافقَ باطنُهُ ظاهرَهُ .

وأن يحترزَ عن مجالسةِ صاحبِ السوءِ ؛ ليقصُرَ ولايةَ شياطينِ الجنِّ والإنسِ مِنْ صحنِ قلبِهِ ، **فيُصفَّىٰ عن لَوْثِ الشَّيطَنةِ** .

وعلىٰ كلِّ حالٍ أن يختارَ الفقرَ على الغنىٰ .

ثمَّ اعلمْ : أنَّ التصوُّفَ لهُ خَصْلتانِ : الاستقامةُ ، والسكونُ عنِ الخلقِ .

فمَنِ استقامَ ، وأحسنَ خُلُقَهُ بالناسِ ، وعاملَهُم بالحِلْمِ . . **فهوَ صوفيٌّ** .

والاستقامةُ : هيَ أن يفديَ حظَّ نفسِهِ لنفسِهِ .

وحسنُ الخُلُقِ بالناسِ : هوَ ألَّا تحملَ الناسَ علىٰ مرادِ نفسِكَ ، بل تحملُ نفسَكَ علىٰ مرادِهِم ، ما لم يخالفوا الشرعَ .

ثمَّ إنَّكَ سألتَني عنِ العبوديَّةِ ؛ وهِيَ ثلاثةُ أشياءَ :

أحدُها : محافظةُ أمرِ الشرعِ .

وثانيها : الرِّضاءُ بالقضاءِ والقدرِ وقسمةِ اللهِ تعالىٰ .

وثالثُها : تركُ رِضاءِ نفسِكَ في طلبِ رضاءِ اللهِ تعالىٰ .

وسألتَني عنِ التوكُّلِ ؛ وهوَ : أن يستحكمَ اعتقادُكَ باللهِ تعالىٰ

فيما وعدَ ؛ يعني : **أن تعتقدَ أنَّ ما قُدِّرَ لكَ . . سيصلُ إليكَ لا محالةَ** وإنِ اجتهدَ مَنْ في العالَمِ علىٰ صَرفِهِ عنكَ ، **وما لم يُكتَبْ لكَ . . لن يصلَ إليكَ** وإن ساعدَكَ جميعُ العالَمِ .

وسألتَني عنِ الإخلاصِ ؛ وهوَ : أن تكونَ أعمالُكَ كلُّها للهِ تعالىٰ ؛ لا يرتاحُ قلبُكَ بمَحامدِ الناسِ ، ولا تأسىٰ بمذامِّهِم .

واعلمْ : أنَّ الرِّياءَ يتولَّدُ مِنْ تعظيمِ الخَلْقِ .

وعلاجُهُ : أن تراهُم مُسخَّري القدرةِ[1] ، وتحسبَهُم كالجماداتِ في عدمِ قدرةِ إيصالِ الراحةِ والمشقَّةِ ؛ لتخلُصَ مِنْ مُراءاتِهِم[2] ، **ومتىٰ تحسبْهُم ذوي قدرةٍ وإرادةٍ . . لن يَبعُدَ عنكَ الرياءُ .**

أيُّها الوَلَدُ

الباقِي مِنْ مسائِلِكَ : بعضُها مسطورٌ في مُصنَّفاتي ، فاطلُبْهُ ثَمَّةَ ، وكتابةُ بعضِها حرامٌ .

---

(١) أي : مُذلَّلين ومنقادين إلىٰ تحت قدرة الله تعالىٰ وعظمته . انظر « أيها الأخ » (ق/٦٠) .

(٢) أي : لِتخلصَ من طلب نظر الخلق إلىٰ عملك لإقبالهم عليك . انظر « أيها الأخ » (ق/٦٠) .

اعملْ أنتَ بما تعلمُ ؛ لينكشفَ لكَ ما لم تعلمْ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ . . وَرَّثَهُ ٱللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »(١) .

بعدَ اليومِ لا تسألْني ما أشكلَ عليكَ إلَّا بلسانِ الجَنانِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ .

واقبلْ نصيحةَ الخضرِ عليهِ السلامُ : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

ولا تستعجلْ حتَّىٰ تبلغَ أوانَهُ . . يُكشَفْ لكَ فتراهُ(٢) **:** ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

فلا تسألْ قبلَ الوقتِ .

وتيقَّنْ أنَّكَ لا تصلُ إلَّا بالسَّيرِ : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ ﴿٩﴾ ﴾ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (١/٤٠٣) ، والحديث برمته زيادة من النسخة (ج) فقط .

(٢) في (د ، هـ ، و) : (وأُريتَ) ، وعلَّق عليها في « أيها الأخ » (ق/٦١) بقوله : (أيها الولد ؛ لا تستعجل في كشف أمر مستور عليك إن تصل إلىٰ وقته . . يكشفْ لك وأُبصِرْتَ) .

باللهِ ؛ إن تسِرْ . . تَرَ العجائبَ في كلِّ منزلٍ .

وابذُلْ رُوحَكَ ؛ فإنَّ رأسَ هـٰذا الأمرِ بذلُ الرُّوحِ ؛ كما قالَ ذو النونِ المصريُّ رحمَهُ اللهُ لأحدٍ مِنْ تلامذتِهِ : (إن قدَرتَ علىٰ بذلِ الرُّوحِ . . فتعالَ ، وإلَّا . . فلا تشتغِلْ بتُرَّهاتِ الصوفيَّةِ)[1] .

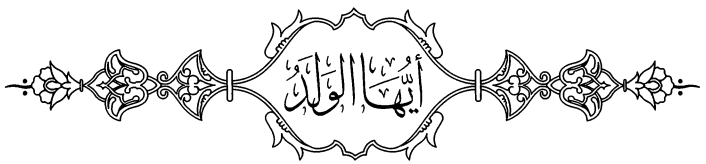

إنِّي أنصحُكَ بثمانيةِ أشياءَ ، اقبلْها منِّي ؛ لئلَّا يكونَ علمُكَ خصماً عليكَ يومَ القيامةِ ، تعملُ منها أربعةً ، وتَدَعُ منها أربعةً .

أمَّا اللواتي تَدَعُ :

فأحدُها : ألَّا تناظرَ أحداً في مسألةٍ ما استطعتَ ؛ لأنَّ فيها آفةً كثيرةً ، وإثمُها أكبرُ مِنْ نفعِها ؛ إذ هيَ منبعُ كلِّ خُلُقٍ ذميمٍ ؛ كالرياءِ والحسدِ ، والكِبْرِ والحِقدِ ، والعداوةِ والمباهاةِ ، وغيرِها .

---

(١) رواه أبو عبد الرحمٰن السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ١٨٣) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٧٣٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٩٧/١٠) من قول رويم بن أحمد رحمه الله تعالىٰ .

نعمْ ؛ لو وقعَ مسألةٌ بينَكَ وبينَ شخصٍ أو قومٍ ، وكانَ إرادتُكَ فيها أن تُظهِرَ الحقَّ ولا تُضيِّعَ . . جازَ البحثُ .

لٰكنْ لتلكَ الإرادةِ علامتانِ :

إحداهُما : ألَّا تُفرِّقَ بينَ أن ينكشفَ الحقُّ علىٰ لسانِكَ أو علىٰ لسانِ غيرِكَ .

والثانيةُ : أن يكونَ البحثُ في الخلاءِ أحبَّ إليكَ مِنْ أن يكونَ في الملأ .

واسمعْ ؛ إنِّي أذكرُ لكَ هنا فائدةً :

اعلمْ : أنَّ السؤالَ عنِ المشكلاتِ عَرْضُ مرضِ القلبِ إلى الطبيبِ ، والجوابَ لهُ سعيٌ لإصلاحِ مرضِهِ .

واعلمْ : أنَّ الجاهلينَ : المرضىٰ قلوبُهُم ، والعلماءَ : الأطبَّاءُ .

والعالِمُ الناقصُ : لا يُحسِنُ المعالجةَ ، والعالِمُ الكاملُ : لا يعالجُ كلَّ مريضٍ ؛ بل يعالجُ مَنْ يرجو فيهِ قَبُولَ المعالجةِ والصلاحِ .

وإذا كانَتِ العلَّةُ مزمنةً ، أو عقيماً لا يقبلُ العلاجَ . . فحَذاقةُ الطبيبِ فيهِ أن يقولَ : هٰذا لا يقبلُ العلاجَ ، فلا يشتغلُ بمداواتِهِ ؛ لأنَّ فيهِ تضييعَ العُمرِ .

ثُمَّ اعلمْ : أنَّ مرضَ الجهلِ علىٰ أربعةِ أنواعٍ :

أحدُها : يقبلُ العلاجَ ، والباقي لا يقبلُ .

أمَّا الذي لا يقبلُ :

فأحدُها : مَنْ كانَ سؤالُهُ واعتراضُهُ عن حسدٍ وبغضٍ ، فكلَّما تجيبُهُ بأحسنِ الجوابِ وأفصحِهِ وأوضحِهِ . . لا يزيدُ لهُ ذٰلكَ إلَّا غيظاً وحسداً .

فالطريقُ : ألَّا تشتغلَ بجوابِهِ .

كُلُّ ٱلْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَىٰ إِزَالَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدِ (١)

فينبغي أن تُعرِضَ عنهُ ، وتتركَهُ معَ مرضِهِ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

والحسودُ بكلِّ ما يقولُ ويفعلُ يُوقِدُ النارَ في زرعِ عملِهِ وهوَ غافلٌ ؛ كما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَٱلْحَسَدُ يَأْكُلُ ٱلْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ » (٢) .

والثاني : أن تكونَ علَّتُهُ مِنَ الحماقةِ ، وهوَ أيضاً لا يقبلُ العلاجَ ؛ كما قالَ عيسىٰ عليهِ السلامُ : (إنِّي ما عجَزتُ عن إحياءِ الموتىٰ ، وقد عجَزتُ عن معالجةِ الأحمقِ) (٣) .

وذٰلكَ رجلٌ يشتغلُ بطلبِ العلمِ زماناً قليلاً ، ويتعلَّمُ شيئاً مِنَ

---

(١) البيت من البسيط ، لعبد الله بن المبارك في « ديوانه » (ص ٧٨) .

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٦٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (٥٤٤/١) .

العلومِ العقليِّ والشرعيِّ ، فيسألُ ويعترضُ مِنْ حماقتِهِ على العالِمِ الكبيرِ المُمْضي عُمرَهُ في العلومِ العقليِّ والشرعيِّ ، وهـٰذا الأحمقُ لا يعلمُ ، ويظنُّ أنَّ ما أشكلَ عليهِ هوَ أيضاً مُشكِلٌ للعالمِ الكبيرِ ، فإذا لم يتفكَّرْ هـٰذا القدرَ . . يكونُ سؤالُهُ مِنَ الحماقةِ .

فينبغي ألَّا يشتغلَ بجوابِهِ ؛ لأنَّ جوابَ الأحمقِ السكوتُ .

والثالثُ : أن يكونَ مُسترشِداً ، وكلَّ ما لا يفهمُ مِنْ كلامِ الأكابرِ يحملُ علىٰ قصورِ فهمِهِ ، وكانَ سؤالُهُ للاستفادةِ ، لـٰكنْ يكونُ بليداً لا يُدرِكُ الحقائقَ .

فلا ينبغي الاشتغالُ بجوابِهِ أيضاً ؛ كما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَحْنُ ـ مَعَاشِرَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ـ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ »[1] .

وأمَّا المرضُ الذي يقبلُ العلاجَ : فهوَ أن يكونَ مُسترشِداً عاقلاً فَهِماً ، ولا يكونَ مغلوبَ الحسدِ والغضبِ وحبِّ الشهوةِ والجاهِ والمالِ ، ويكونَ طالبَ الطريقِ المستقيمِ ، ولم يكنْ سؤالُهُ واعتراضُهُ عن حسدٍ وتعنُّتٍ وامتحانٍ .

وهـٰذا يقبلُ العلاجَ ، فيجوزُ أن تشتغلَ بجوابِ سؤالِهِ ؛ بل يجبُ عليكَ إجابتُهُ .

---

(١) أورده الديلمي في « الفردوس » (١٦١١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

والثاني ممَّا تَدَعُ : هوَ أن تحذرَ وتحترزَ مِنْ أن تكونَ واعظاً أو مُذكِّراً ؛ لأنَّ آفتَهُ كثيرةٌ ، إلَّا أن تعملَ بما تقولُ أوَّلاً ، ثمَّ تعظَ بهِ الناسَ .

فتفكَّرْ فيما قيلَ لعيسىٰ عليهِ السلامُ : (يا بنَ مريمَ ؛ عِظْ نفسَكَ ؛ فإنِ اتعظَتْ . . فعِظِ الناسَ ، وإلَّا . . فاستحِ مِنْ ربِّكَ)[1] .

وإنِ ابتُلِيتَ بهٰذا العملِ . . فاحترزْ عن خَصلتينِ :

الأُولىٰ : عنِ التكلُّفِ في الكلامِ بالعباراتِ والإشاراتِ والطَّامَّاتِ والأبياتِ والأشعارِ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يُبغِضُ المُتكلِّفينَ .

والتكلُّفُ المُجاوِزُ عنِ الحدِّ يدُلُّ علىٰ خرابِ الباطنِ وغفلةِ القلبِ .

ومعنى التذكيرِ :

أن يذكرَ العبدُ نارَ الآخرةِ ، وتقصيرَ نفسِهِ في خدمةِ الخالقِ .

ويتفكَّرَ في عُمرِهِ الماضي الذي أفناهُ فيما لا يعنيهِ .

ويتفكَّرَ فيما بينَ يديهِ مِنَ العَقَباتِ : مِنْ سلامةِ الإيمانِ في الخاتمةِ ، وكيفيَّةِ حالِهِ في قبضةِ مَلَكِ الموتِ ، وهل يَقدِرُ جوابَ منكرٍ ونكيرٍ ؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٠٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٨٢/٢) .

وأن يهتمَّ بحالِهِ في القيامةِ ومواقفِها ، وهل يعبُرُ على الصراطِ سالماً ، أم يقعُ في الهاويةِ ؟

ويستمرُّ ذكرُ هٰذهِ الأشياءِ في قلبِهِ ، فيزعجُهُ عن قرارِهِ .

فغلَيانُ هٰذهِ النيرانِ ، ونَوحةُ هٰذهِ المصائبِ يُسمَّىٰ تذكيراً .

وإعلامُ الخلقِ وإطلاعُهُم علىٰ هٰذهِ الأشياءِ ، وتنبيهُهُم علىٰ تقصيرِهِم وتفريطِهِم ، وتبصيرُهُم بعيوبِ أنفسِهِم ؛ لتمَسَّ حرارةُ هٰذهِ النيرانِ أهلَ المجلسِ ، وتُجزِعَهُم تلكَ المصائبُ ؛ ليتداركوا العُمرَ الماضيَ بقدرِ الطاقةِ ، ويتحسَّروا على الأيَّامِ الخاليةِ في غيرِ طاعةِ اللهِ تعالىٰ . . هٰذهِ الجملةُ علىٰ هٰذا الطريقِ تُسمَّىٰ وعظاً .

كما لو رأيتَ أنَّ السيلَ قد هجمَ علىٰ دارِ أحدٍ ، وكانَ هوَ وأهلُهُ فيها ؛ فتقولُ : الحذرَ الحذرَ ، فِرُّوا مِنَ السَّيلِ .

وهل يشتهي قلبُكَ في هٰذهِ الحالةِ أن تُخبرَ صاحبَ الدارِ خبرَكَ بتكلُّفِ العباراتِ ، والنُّكَتِ والإشاراتِ ؟!

فلا يشتهي ألبتةَ .

فكذٰلكَ حالُ الواعظِ معَ الخلقِ ؛ فينبغي أن يجتنبَ عنها .

والخَصلةُ الثانيةُ : ألَّا تكونَ همَّتُكَ في وعظِكَ أن ينعِرَ الخلقُ في مجلسِكَ [1] ، ويُظهروا الوَجْدَ ، ويَشُقُّوا الثيابَ ؛ ليُقالَ : نِعْمَ المجلسُ هٰذا ؛ لأنَّ كلَّهُ ميلٌ إلى الدنيا ، وهوَ يتولَّدُ مِنَ الغفلةِ .

---

(١) النعير : الصياح والصراخ أثناء الوعظ .

بل ينبغي أن يكونَ عزمُكَ وهمَّتُكَ أن تدعوَ الناسَ مِنَ الدنيا إلى الآخرةِ ، ومِنَ المعصيةِ إلى الطاعةِ ، ومِنَ الحرصِ إلى الزهدِ ، ومِنَ البخلِ إلى السَّخاءِ ، ومِنَ الشكِّ إلى اليقينِ ، ومِنَ الغفلةِ إلى اليقظةِ ، ومِنَ الغُرورِ إلى التقوىٰ .

وتُحبِّبَ إليهِمُ الآخرةَ ، وتُبغِّضَ عليهِمُ الدنيا ، وتُعلِّمَهُم علمَ العبادةِ والزهدَ ؛ لأنَّ الغالبَ في طباعِهِمُ الزَّيغُ عن منهجِ الشرعِ ، والسعيُ فيما لا يرضى اللهُ تعالىٰ بهِ ، والاشتغالُ بالأخلاقِ الرديَّةِ .

فألقِ في قلوبِهِمُ الرُّعبَ ، ورَوِّعْهُم وحَذِّرْهُم عمَّا يستقبلونَ مِنَ المخاوفِ ؛ لعلَّ صفاتِ باطنِهِم تتغيَّرُ ، ومعاملةَ ظاهرِهِم تتبدَّلُ ، ويُظهِرونَ الحرصَ والرغبةَ في الطاعةِ ، والرجوعَ عنِ المعصيةِ .

وهٰذا طريقُ الوعظِ والنصيحةِ .

وكلُّ وعظٍ لا يكونُ هٰكذا . . فهوَ وَبالٌ علىٰ مَنْ قالَ وسمعَ ، بل قيلَ : إنَّهُ غُولٌ وشيطانٌ ، يذهبُ بالخلقِ عنِ الطريقِ ويُهلِكُهُم .

فيجبُ عليهِم أن يَفِرُّوا منهُ ؛ لأنَّ ما يُفسِدُهُ هٰذا القائلُ مِنْ دينِهِم . . لا يستطيعُ بمثلِهِ الشيطانُ .

ومَنْ كانَتْ لهُ يدٌ وقدرةٌ . . يجبُ عليهِ أن يُنزِلَهُ عن منابرِ المسلمينَ ، ويمنعَهُ عمَّا باشرَهُ ؛ فإنَّهُ مِنْ جملةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ .

والثالثُ ممَّا تَدَعُ : ألَّا تخالطَ الأمراءَ والسلاطينَ ، ولا تراهُم ؛ **لأنَّ رؤيتَهُم ومجالستَهُم ومخالطتَهُم آفةٌ عظيمةٌ** ، ولوِ ابتُلِيتَ بها . . دَعْ عنكَ مدحَهُم وثناءَهُم ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يغضبُ إذا مُدِحَ الفاسقُ والظالمُ ، **ومَنْ دعا لطُولِ بقائِهِم . . فقد أحبَّ أن يُعصى اللهُ في أرضِهِ** .

والرابعُ ممَّا تَدَعُ : ألَّا تقبلَ شيئاً مِنْ عطاءِ الأمراءِ وهداياهُم وإن علمتَ أنَّها مِنَ الحلالِ ؛ **لأنَّ الطمعَ منهُم يُفسدُ الدِّينَ** ؛ لأنَّهُ يتولَّدُ منهُ المداهنةُ ، ومراعاةُ جانبِهِم ، والموافقةُ في ظلمِهِم ، **وهٰذا كلُّهُ فسادٌ في الدِّينِ** .

وأقلُّ مَضرَّتِهِ : أنَّكَ إذا قبلتَ عطاياهُم وانتفعتَ مِنْ دنياهُم . . أحببتَهُم ، **ومَنْ أحبَّ أحداً . . يحبُّ طُولَ عُمرِهِ وبقاءَهُ** بالضرورةِ ، **وفي محبَّةِ بقاءِ الظالمِ إرادةُ الظلمِ علىٰ عبادِ اللهِ تعالىٰ ، وإرادةُ خرابِ العالَمِ** .

فأيُّ شيءٍ يكونُ أضرَّ مِنْ هٰذا للدِّينِ والعاقبةِ ؟

وإيَّاكَ إيَّاكَ أن تُخدَعَ باستهواءِ الشيطانِ ، وقولِ بعضِ الناسِ لكَ **بأنَّ الأفضلَ والأَولىٰ** أن تأخذَ الدينارَ والدرهمَ منهُم ، وتُفرِّقَهُما بينَ الفقراءِ والمساكينِ ؛ **فإنَّهُم ينفقونَ في الفسقِ والمعصيةِ** ، وإنفاقُكَ علىٰ ضعفاءِ الناسِ خيرٌ مِنْ إنفاقِهِم ؛ **فإنَّ اللعينَ قد قطعَ أعناقَ كثيرٍ مِنَ الناسِ بهٰذهِ الوسوسةِ** .

وآفتُهُ فاشٍ كثيرٌ ، قد ذكرناهُ في « إحياءِ علومِ الدِّينِ » ، فاطلبْهُ ثَمَّةَ[1] .

وأمَّا الأربعةُ التي ينبغي لكَ أن تفعلَها :

الأوَّلُ : أن تجعلَ معاملتَكَ معَ اللهِ تعالىٰ بحيثُ لو عاملَكَ بها عبدُكَ . . ترضىٰ بها منهُ ، ولا يَضِيقُ خاطرُكَ عليهِ ، ولا تغضبُ .

وما لا ترضىٰ لنفسِكَ مِنْ عبدِكَ المَجَازيِّ . . لا ترضىٰ للهِ تعالىٰ منكَ وهوَ سيِّدُكَ الحقيقيُّ .

والثاني : كلُّ ما عاملتَ بالناسِ . . اجعلْ كما ترضىٰ لنفسِكَ منهُم ؛ لأنَّهُ لا يكمُلُ إيمانُ عبدٍ حتَّىٰ يحبَّ لسائرِ الناسِ ما يحبُّ لنفسِهِ .

والثالثُ : إذا قرأتَ العلمَ أو طالعتَهُ . . ينبغي أن يكونَ علماً يُصلِحُ قلبَكَ ويُزكِّي نفسَكَ ؛ كما لو علمتَ أنَّ عُمرَكَ ما بقيَ غيرُ أسبوعٍ . . فبالضرورةِ لا تشتغلُ فيها بعلمِ الفقهِ والخلافِ والأصولِ والكلامِ وأمثالِها ؛ لأنَّكَ تعلمُ أنَّ هٰذهِ العلومَ لا تغنيكَ ، بل تشتغلُ بمراقبةِ القلبِ ، ومعرفةِ صفاتِ النفسِ ، والإعراضِ

(١) إحياء علوم الدين (٥٢٣/٣) وما بعدها .

عن علائقِ الدنيا ، وتُزكِّي نفسَكَ عنِ الأخلاقِ الذميمةِ ، وتشتغلُ بمحبَّةِ اللهِ تعالىٰ وعبادتِهِ ، والاتصافِ بالأوصافِ الحسنةِ .

ولا يمرُّ علىٰ عبدٍ يومٌ وليلةٌ إلَّا ويمكنُ أن يكونَ موتُهُ فيهِ .

اسمعْ منِّي كلاماً آخرَ ، وتفكَّرْ فيهِ حتَّىٰ تجدَ خلاصاً :

لو أنَّكَ أُخبِرتَ أنَّ السلطانَ بعدَ أسبوعٍ يجيئُكَ زائراً . . اعلمْ أنَّكَ في تلكَ المُدَّةِ لا تشتغلُ إلَّا بإصلاحِ ما علمتَ أنَّ نظرَ السلطانِ سيقعُ عليهِ ؛ مِنَ الثيابِ ، والبدنِ ، والدارِ ، والفُرشِ ، وغيرِها .

والآنَ تفكَّرْ إلىٰ ما أشرتُ بهِ ؛ فإنَّكَ فَهِمٌ ، والكلامُ الفردُ يكفي الكَيِّسَ ، قالَ رسولُ اللهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ ، وَلَا إِلَىٰ أَعْمَالِكُمْ ، وَلَـٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ »[1] .

وإن أردتَ علمَ أحوالِ القلبِ . . فانظرْ إلى « الإحياءِ » وغيرِهِ مِنْ مُصنَّفاتي ـ وهـٰذا العلمُ فرضُ عينٍ ، وغيرُهُ فرضُ كفايةٍ إلَّا مقدارَ ما يُؤدَّىٰ بهِ فرائضُ اللهِ تعالىٰ ـ . . يُوفِّقْكَ اللهُ تعالىٰ حتَّىٰ تُحصِّلَهُ .

---

(١) رواه مسلم (٣٤/٢٥٦٤) ، وابن ماجه (٤٣٠٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

والرَّابعُ : ألَّا تجمعَ مِنَ الدنيا أكثرَ مِنْ كفايةِ سنةٍ ؛ كما كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُعِدُّ لبعضِ حُجُراتِهِ[1] ، وقالَ : « اَللَّهُمَّ ؛ اَجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافاً »[2] .

ولم يكنْ يُعِدُّ ذٰلكَ لكلِّ حُجُراتِهِ ؛ بل كانَ يُعِدُّهُ لِمَنْ علمَ أنَّ في قلبِها ضَعفاً ، وأمَّا مَنْ كانَتْ صاحبةَ يقينٍ . . فما كانَ يُعِدُّ لها إلَّا قوتَ يومٍ أو نصفٍ .

---

(١) رواه البخاري (٥٣٥٧) ، وأبو داوود (٢٩٥٨) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٠٥٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

إنّي كتبتُ في هـٰذا الفصلِ مُلتمَساتِكَ ، فينبغي لكَ أن تعملَ بها ، ولا تنساني فيها مِنْ أن تذكرَني في صالحِ دعائِكَ .

وأمَّا الدعاءَ الذي سألتَ منّي . . فاطلبْهُ في دعَواتِ الصِّحاحِ .

واقرأْ هـٰذا الدعاءَ في أوقاتِكَ ، خصوصاً في أعقابِ صلواتِكَ :

اللهمَّ ، يا واجبَ الوجودِ ، يا واهبَ الخيرِ والجودِ ؛ أفضْ علينا أنوارَ رحمتِكَ ، ويسِّرْ لنا الوصولَ إلىٰ كمالِ معرفتِكَ ، سبحانَكَ لا علمَ لنا إلَّا ما علَّمتَنا ، ولا معرفةَ لنا إلَّا ما ألهمتَنا ، إنَّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ .

اللهمَّ ؛ إنّي أسألُكَ مِنَ النعمةِ تمامَها ، ومِنَ العصمةِ دوامَها ، ومِنَ الرحمةِ شُمولَها ، ومِنَ العافيةِ حُصولَها ، ومِنَ العيشِ أرغدَهُ ، ومِنَ العُمرِ أسعدَهُ ، ومِنَ الإحسانِ أتمَّهُ ، ومِنَ الإنعامِ أعمَّهُ ، ومِنَ الفضلِ أعذبَهُ ، ومِنَ اللُّطفِ أنفعَهُ ، ومِنَ العفوِ أجمعَهُ .

اللهمَّ ؛ كنْ لنا ولا تكنْ علينا .

اللهمَّ ؛ اختِمْ بالسعادةِ آجالَنا ، وحقِّقْ بالزيادةِ آمالَنا ، واقرِنْ بالعافيةِ غُدُوَّنا وآصالَنا ، واجعلْ إلىٰ رحمتِكَ مصيرَنا ومآلَنا .

اللهمَّ ؛ اصبُبْ سِجالَ عفوِكَ علىٰ ذُنوبِنا ، ومُنَّ علينا بإصلاحِ

عُيوبِنا ، واجعلِ التقوىٰ زادَنا ، وفي دِينِكَ اجتهادَنا ، وعليكَ توكُّلَنا واعتمادَنا ، وإلىٰ رضوانِكَ مَعادَنا .

اللهمَّ ؛ ثبِّتْنا علىٰ نهجِ الاستقامةِ ، وأحلِلْنا دارَ المُقامةِ ، وأعِذْنا في الدنيا مِنْ مُوجِباتِ الندامةِ يومَ القيامةِ ، وخَفِّفْ عنَّا ثِقَلَ الأوزارِ ، وارزُقْنا عِيشةَ الأبرارِ ، واكفِنا واصرِفْ عنَّا شرَّ الأشرارِ ، وكيدَ الفُجَّارِ ، وأعتِقْ رِقابَنا ورِقابَ آبائِنا وأمَّهاتِنا وإخوانِنا مِنَ النارِ ، برحمتِكَ يا عزيزُ يا غفَّارُ ، يا كريمُ يا ستَّارُ ، يا حليمُ يا جبَّارُ ، يا أَللهُ يا أَللهُ ، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ .

تمّ الكتاب بعون الله الملك الوهّاب وحسن توفيقه

أهمّ مصادر ومراجع التّحقيق (١)

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للزبيدي ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- إحياء علوم الدين ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- أيها الأخ شرح أيها الولد ، لصبري ؛ العلامة القاضي عبد الرحمٰن بن أحمد بن عمر (صبري) الرومي الحنفي (ت ١١٣٩ هـ) ، مخطوطة مصورة رقم ، (١٨١٦ خاص ، ٤٢٩٩٧ عام) ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، مصر .
- البداية والنهاية ، لابن كثير ؛ الإمام الحافظ الفقيه المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، اسم المحقق ، رقم الطبعة ، تاريخ طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرها .

البصروي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) ، عني به مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط (ت ١٤٢٥ هـ) والدكتور بشار عواد معروف ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، **لابن عبد البر** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام) ، **للخطيب البغدادي** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، **لابن عساكر** ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، لابن رجب ؛ الإمام الحافظ الفقيه الواعظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ٢ ، (١٩٨٨ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .
- التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة ، للقرطبي ؛ الإمام الفقيه المفسر اللغوي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي المالكي (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق الدكتور الصادق محمد إبراهيم ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، السعودية .
- تفسير الثعلبي ، المسمى : « الكشف والبيان » ، للثعلبي ؛ الإمام الحافظ المفسر أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري الشافعي (ت ٤٢٧ هـ) ، تحقيق علي عاشور ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبد البر ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط ١ ، (١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م) ، وزارة الأوقاف ، الرباط ، المغرب .
- التهجد وقيام الليل ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب

أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

ـ الجامع لشعب الإيمان ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية .

ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، **لأبي نعيم الأصبهاني** ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدىٰ دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر . بيروت ، لبنان .

ـ ديوان الإمام عبد الله بن المبارك ، **لابن المبارك** ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي (ت ١٨١ هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور مجاهد مصطفىٰ بهجت ، ط ٣ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر .

ـ ديوان مجنون ليلىٰ ، **لمجنون ليلىٰ** ؛ شاعر الغزل قيس بن

الملوح بن مزاحم العامري (ت ٦٨ هـ) ، جمع وتحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر .

- روح البيان في تفسير القرآن ، **لإسماعيل حقي** ؛ الإمام العالم المفسر الأصولي إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي البروسوي الحنفي (ت ١١٢٧ هـ) ، بعناية أحمد عزو عناية ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- الزهد الكبير ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط ٣ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

- الزهد والرقائق برواية المروزي مع زيادات رواية نعيم بن حماد عليه ، **لابن المبارك** ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي (ت ١٨١ هـ) ، تحقيق العلامة المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة الهند لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الزهد ، **لابن حنبل** ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، عني

به محمد عبد السلام شاهين ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- سنن ابن ماجه ، **لابن ماجه** ؛ الإمام الحافظ الثبت المفسر أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج بإذن رسمي من جمعية المكنز الإسلامي ، جدة ، السعودية .

- سنن أبي داوود ، **لأبي داوود** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- سنن الترمذي ، المسمى : « الجامع الصحيح » ، **للترمذي** ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسىٰ محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) والشيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، **للذهبي** ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط ١١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- صحيح البخاري ، المسمى : « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه » (الطبعة السلطانية اليونينية) ، للبخاري ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ٣ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار طوق النجاة ودار المنهاج ، بيروت ، لبنان . جدة ، السعودية .

- صحيح مسلم ، المسمى : « الجامع الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، لمسلم ؛ حافظ الدنيا المجود الحجة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية . بيروت ، لبنان .

- الصلة ، وهو ذيل على « تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي » ، لابن بشكوال ؛ الإمام المؤرخ الناقد محدث الأندلس أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الأنصاري القرطبي

المالكي (ت ٥٧٨ هـ) ، عني به إدارة إحياء التراث ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٦ م) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، مصر .

ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، **للسخاوي** ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، عني به محمد جمال القاسمي ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م) ، طبعة مصورة عن نشرة القاسمي لدىٰ دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

ـ طبقات الشافعية الكبرىٰ ، **للتاج السبكي** ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ هـ) والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

ـ طبقات الصوفية ، **للسلمي** ؛ إمام الصوفية وصاحب تاريخها الحافظ أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السلمي (ت ٤١٢ هـ) ، تحقيق نور الدين شريبه ، ط ٢ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق سنة (١٩٥٣ م) لدىٰ دار الكتاب النفيس ، دمشق ، سورية .

ـ الفردوس بمأثور الخطاب ، **للديلمي** ؛ الإمام الحافظ

أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩ هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد ، **لأبي طالب المكي** ؛ الإمام الفقيه شيخ الصوفية أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي الشافعي (ت ٣٨٦ هـ) ، بعناية العلامة محمد الزهري الغمراوي (ت بعد ١٣٦٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٠ هـ ، ١٨٩٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

ـ الكشكول ، **للعاملي** ؛ العلامة الأديب بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الاثني عشري (ت ١٠٣١ هـ) ، تحقيق العلامة الطاهر أحمد الزاوي (ت ١٤٠٦ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة ، بيروت ، لبنان .

ـ المجالسة وجواهر العلم ، **للدينوري** ؛ الإمام الفقيه المحدث أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري المالكي (ت ٣٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

ـ المصنف ، **لابن أبي شيبة** ؛ الإمام العلم سيد الحفاظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) ،

تحقيق الشيخ محمد عوامة ، ط ٢ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- المصنف ، **لعبد الرزاق** ؛ الإمام الحافظ الثقة عالم اليمن أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق العلامة المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- المؤتلف والمختلف ، **للدارقطني** ؛ الإمام الحافظ الحجة أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني البغدادي الشافعي (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

مُحتوى الكتابِ

بين يدي الكتاب ١١

ترجمةُ المؤلف ١٤

ـ شيوخُ الإمامِ الغزاليّ رضي الله عنه ١٤

ـ اعتزالُهُ النَّاسَ وتأليفُهُ « الإحياءَ » ١٥

ـ بعضُ مؤلفاتِهِ رضيَ اللهُ عنهُ ١٦

وصفُ النُّسخِ الخطِّيَّةِ ١٨

منهجُ العملِ في الكتابِ ٢٢

صورٌ منَ المخطوطاتِ المعتمدة ٢٥

رسالة « أيها الولد » ٣٥

خطبة الرسالة ٣٧

ـ سببُ تأليفِ هٰذهِ الرسالةِ ٣٧

ـ أولُ الهدايةِ خاطِرٌ ٣٧

ـ مِنْ سعادةِ المرءِ وجودُ الطبيبِ الحاذقِ ٣٨

ـ وجودُ التآليفِ لا تغني عنِ الشَّيخِ ٣٨

ـ منبع النصيحة هو رسول الله ﷺ ٣٩

أيُّها الولدُ : الاشتغالُ بما لا يَعني هو علامةُ إعراضِ اللهِ تعالىٰ عنِ العبدِ ٣٩
أيُّها الولدُ : العلمُ عملٌ وليسَ مجرَّدَ وسيلةٍ ٤٠
ـ حجةُ اللهِ آكدُ علىٰ تاركِ العملِ ٤٠
ـ الإخلاصُ هوَ النافعُ وغيرُهُ يَفنىٰ ٤٠
أيُّها الولدُ : إليكَ مثالينِ لبيانِ وجوبِ العملِ بالعلمِ ٤١
ـ العلمُ بلا عملٍ كالسيفِ بلا يدٍ ٤١
ـ العلمُ لا ينفعُ بلا عملٍ ٤١
ـ العلمُ الكثيرُ بلا عمل ليسَ أهلاً لرحمةِ اللهِ تعالىٰ ٤٢
ـ الأعمالُ التكليفيَّةُ دليلٌ علىٰ وجوبِ العلمِ بالعملِ ٤٢
ـ الردُّ علىٰ شُبهةِ أنَّ الإيمانَ بلا عملٍ كافٍ لدخولِ الجنَّةِ ٤٣
أيُّها الولدُ : لا بدَّ مِنَ العملِ ولا وصولَ إلَّا بهِ ٤٤
ـ إنَّما خُلِقنا للعبادةِ ٤٤
ـ مَنْ لَم يعرِضْ عنِ اللهِ لَنْ يُعرِضَ اللهُ عنهُ ٤٤
أيُّها الولدُ : **لا بدَّ مِنْ تحريرِ النيّةِ في طلبِ العلمِ** ٤٥
ـ الويلُ لمَنْ طلبَ الدنيا بالآخرةِ ٤٥
أيُّها الولدُ : الإنسان مجزيٌّ بعملِهِ ٤٦
أيُّها الولدُ : ما فائدةُ العلمِ مِنْ غيرِ عملٍ ؟ ٤٦
ـ مراقبةُ اللهِ قبلَ مراقبةِ الخَلْقِ ٤٧

أيُّها الولدُ : العلمُ والعملُ لا ينفكانِ ٤٧
ـ لا يمكنُ إرجاعُ ما فاتَ مِنَ العمرِ إذا فاتَ ٤٧
أيُّها الولدُ : إيَّاكَ أن تخرجَ منَ الدنيا بلا زادٍ ٤٨
ـ اختَرْ لنفسكَ : أعاليَ بروجِ الجنانِ أو هاويةَ النارِ ٤٨
أيُّها الولدُ : كثرةُ النومِ باللّيلِ دليلُ الإفلاسِ ٤٩
أيُّها الولدُ : القيامُ بالأسحارِ منْ علاماتِ الأبرارِ ٥٠
ـ ثلاثةُ أصواتٍ يحبُّها اللهُ تعالىٰ ٥٠
ـ للهِ تعالىٰ ريحٌ عندَ السَّحَرِ تحملُ الذِّكْرَ لهُ ٥٠
ـ مراتبُ قوَّامِ الليلِ ٥٠
أيُّها الولدُ : لا يكونَنَّ الدِّيكُ أكيسَ منكَ ٥١
ـ الدمعُ مِنَ الخشيةِ دليلُ المحبَّةِ ٥١
أيُّها الولدُ : الطاعةُ والعبادةُ في متابعة الشارع ٥٢
أيُّها الولدُ : العلمُ والعملُ بلا اقتداءِ الشرعِ ضلالةٌ ٥٢
ـ مَنْ تصوَّفَ قبلَ أن يتفقَّهَ فقد تزندقَ ٥٢
ـ حياةُ القلبِ معلَّقةٌ علىٰ موتِ النفسِ ٥٢
ـ المعانِي الذوقيَّةُ تُدرَكُ بالممارسةِ لا بالقولِ ٥٣
أيُّها الولدُ : واجباتُ السالكِ أربعةُ أمورٍ ٥٤
ـ حكاية : علمُ الأوَّلينَ والآخرينَ مندرِجٌ في حديثٍ واحدٍ ٥٤
أيُّها الولدُ : العبرةُ بالعلمِ القليلِ معَ العملِ ٥٥

ـ حكاية : ثماني فوائدَ مِنَ العلمِ حاصلُ صحبةِ ثلاثينَ سنةً ٥٥
ـ **الفائدةُ الأولى** : المحبوبُ الذي يؤنِسُكَ في قبرِكَ ٥٥
ـ **الفائدةُ الثانيةُ** : هجرُ الهوىٰ لتكونَ الجنةُ هيَ المأوىٰ ... ٥٦
ـ **الفائدةُ الثالثةُ** : تَفنى الدنيا وما عندَ اللهِ باقٍ ٥٦
ـ **الفائدةُ الرابعةُ** : الشرفُ الحقيقيُّ في التقوىٰ ٥٧
ـ **الفائدةُ الخامسةُ** : منَ حسدَ فعلى اللهِ قدِ اعترضَ ٥٧
ـ **الفائدةُ السادسةُ** : العدو هوَ الشيطانُ لا غيرُهُ ٥٨
ـ **الفائدةُ السابعةُ** : الرزقُ على اللهِ ، فما الداعي للطمعِ فيما سواهُ ؟ ٥٨
ـ **الفائدةُ الثامنةُ** : ومَنْ يتوكلْ على اللهِ فهوَ حسبُهُ ٥٩
ـ علىٰ هٰذهِ الفوائدِ الثمانيةِ تدورُ الكتبُ الأربعةُ ٥٩
أيُّها الولدُ : المدارُ على العملِ ٥٩
ـ لا بُدَّ مِنْ شيخٍ مُرَبٍّ ٦٠
ـ لا بدَّ مِنْ شيخٍ تسيرُ سيرَهُ ٦٠
ـ شروطُ المربّي وعلاماته ٦٠
ـ الإعراضُ عن حبِّ الدنيا وحبِّ الجاهِ شرطُ المربّي ٦٠
ـ المربّي مَنْ كانَتْ محاسنُ الأخلاقِ لهُ سيرةً ٦١
ـ المربّي الحقُّ نورٌ ولٰكنَّهُ عزيزٌ نادرٌ ٦١
ـ أدبُ السالكِ معَ المربّي ٦١

ـ احترامُ المربّي في الظَّاهرِ والباطنِ شرطٌ للسُّلوكِ ٦١
ـ صاحبُ السوءِ يلوِّثُ القلبَ ٦٢
ـ خَصْلتا التصوُّفِ ٦٢
ـ معنى العبوديةِ ٦٢
ـ معنى التوكلِ ٦٢
ـ معنى الإخلاصِ ٦٣
ـ مِمَّ يتولَّدُ الرِّياءُ وكيفَ يكونُ علاجُهُ ؟ ٦٣
أيُّها الولدُ : العملُ بالعلمِ يورثُكَ ما لم تعلمْ ٦٣
أيُّها الولدُ : استفْتِ قلبكَ وإن أَفْتَوكَ ٦٤
ـ لا وصولَ إلَّا بالسيرِ ٦٤
أيُّها الولدُ : رأسُ هٰذا الأمرِ بذلُ الروحِ ٦٥
أيُّها الولدُ : الخلاصُ يومَ القيامةِ بتحقيقِ جملةٍ مِنَ الأمورِ ٦٥
ـ النهيُ عن المناظرةِ ٦٥
ـ جوازُ المناظرةِ لإظهارِ الحقِّ ٦٦
ـ فائدة في السؤال عن المشكلات ٦٦
ـ الجهلُ مرضٌ وطبيبهُ الشافي العالِمُ الكامِلُ ٦٦
ـ العلةُ المزمنةُ لا تقبلُ العلاجَ ٦٦
ـ أنواعُ الجهلِ ٦٦
ـ الحسدُ علةٌ إن عُولجَتْ زادَتْ ٦٧

ـ يحيا الميتُ ولا يُشفى الأحمقُ ٦٧
ـ اعتراضُ قليلِ العلمِ على العالِمِ حمقٌ جوابُهُ السكوتُ ... ٦٨
ـ المسترشدُ البليدُ لا يُشْغَلُ بجوابِهِ ٦٨
ـ جهلٌ يقبلُ العلاجَ ٦٨
ـ عِظْ نفسكَ وإلَّا فلا تعظِ الناسَ ٦٩
ـ التكلُّفُ الزائدُ دليلُ خرابِ الباطِنِ ٦٩
ـ الفرقُ بينَ التذكيرِ والوعظِ ٦٩
ـ ما خرجَ منَ القلبِ وقعَ في القلبِ ٧٠
ـ ضربُ مثلٍ في النهي عنِ التكلُّفِ ٧٠
ـ ما ينبغي أن يقصدَهُ الواعظُ بوعظِهِ ٧٠
ـ همَّةُ الواعظِ تقريبُ الناسِ إلى الطاعةِ وإبعادُهُم عنِ المعصيةِ ٧١
ـ الإرعابُ والتحذيرُ طريقٌ للاتعاظِ والتذكيرِ ٧١
ـ الوعظُ مِنْ غيرِ ناصحٍ وبالٌ علىٰ مَنْ قالَ وسمعَ ٧١
ـ وجوبُ النهي عن وعَّاظِ السُّوءِ ٧١
ـ النهيُ عن مخالطةِ السلاطينِ ٧٢
ـ النهيُ عن هدايا الأمراءِ ٧٢
ـ آفاتُ قَبولِ العطاءِ مِنَ الأمراءِ ٧٢
ـ قَبولُ العطاءِ بقصدِ التصدقِ خديعةٌ مِنَ الشيطانِ ٧٢

ـ المأموراتُ أربعة : معاملة الله والعباد ٧٣
ـ الأمرُ بمعاملةِ الناسِ بما ترضاهُ لنفسِكَ ٧٣
ـ تقديمُ العلومِ المُصْلِحَةِ للقلوبِ علىٰ غيرها ٧٣
أيُّها الولدُ : دخولُ الجِنانِ مقرونٌ بإصلاحِ الجَنانِ ٧٤
ـ ضربُ مثلٍ لمراقبةِ اللهِ تعالىٰ ٧٤
ـ علمُ أحوالِ القلبِ فرضُ عينٍ ٧٤
ـ الأمرُ بالرضا بالكفافِ ٧٥
ـ لا يليقُ بصاحبِ اليقينِ إلَّا إعدادُ قوتِ يومٍ أو نصفِهِ ٧٥
أيُّها الولدُ : الدعاءُ مخُّ العبادةِ في جميعِ الأوقاتِ ٧٦

أهم مصادر ومراجع التحقيق ٧٩
محتوى الكتاب ٨٩